



الإشراف العام
وزير الثقافة
محمد ياسين الصالح

المدير الإداري
محمد ارحابي

رئيس التحرير
تيم الحاج هرّاع

مديرة التحرير
مريم حجير

فريق عمل المجلة

عبد الله سعيد
ميس العاني
ميشيل لحام
سامر جنيد

الإخراج الفني
هيثم الشيخ علي

التدقيق اللغوي
مناف بجاج

شعار المجلة
الخطاط نضال إبراهيم آغا

الإشراف الفني والطباعي
مرهف عبد الجواد

فكرية أدبية فنية تراثية
تصدر شهرياً عن وزارة الثقافة

العدد 6 - أيلول 2026 - دمشق

الهيئة الاستشارية

د. أحمد برقاي	د. أحمد إيبش
د. خلدون الشمعة	د. بشير زين العابدين
د. رغد الجاجي	أ. رديف مصطفى
أ. فارس الذهبي	أ. علي المسعودي
د. لؤي خليل	أ. لميس الرحبي

• ساحة المالكي - طلعة شوري، دمشق، سوريا

• +963987558240

• +963987558240

• +963113331556 + 963113331557

• mag@moc.gov.sy

• mag.moc.gov.sy

• للمراسلات والاشتراكات، يمكنكم التواصل عبر معلومات الاتصال أعلاه.

مطابع
الهيئة العامة السورية للكتاب

الآراء الواردة في المواد المنشورة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة، كما يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية.

المثقف السوري ومسؤولية المعنى والاختلاف

من يكتب القصيدة ويعمل في الإعلام يدرك أنّ الكلمة أمانة، وأن مسؤولية صاحبها تتعاظم بقدر أثرها في الناس، وها أنا اليوم، في وزارة الثقافة، أحمل هذه الأمانة وأسئلة المثقف إلى موقع تصبح فيه الكلمة قراراً أيضاً، وتتسع فيه المسؤولية إلى رعاية الفكر والإبداع ووصون حرية التعبير.

ومن موقع المسؤولية هذا، لا يعود السؤال عن دور المثقف سؤالاً يخص المثقف وحده، بل يصبح سؤالاً عن الدولة أيضاً، ولا سيما في لحظة يُعاد فيها بناء العلاقة بين المؤسسة والمجتمع، بعد عقود أُخضع فيها المجال الثقافي لسلطة الاستبداد، وشُخّرت المؤسسة لترسيخ أيديولوجيا تبرّر القمع، وتمجّد السلطة، وتُقصي كل ما يخالف خطابها من فكر وإبداع.

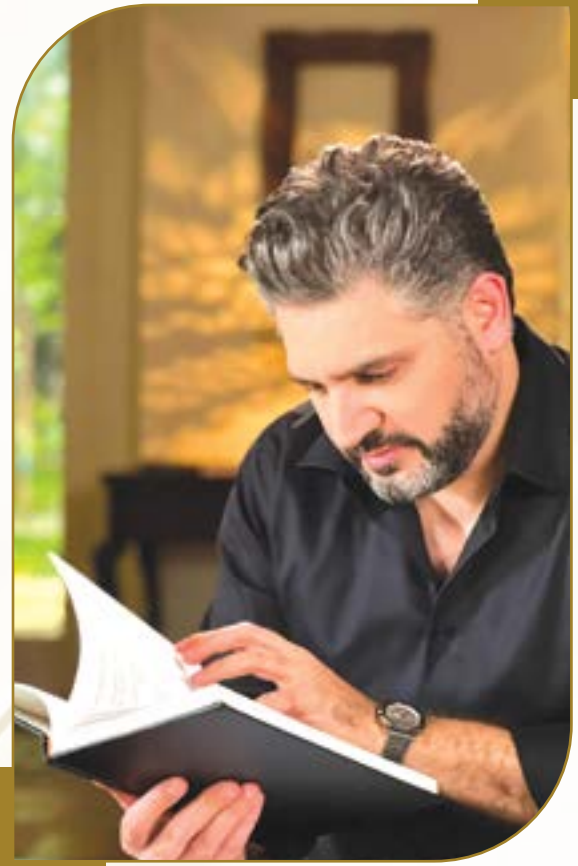
وفي سنوات الثورة، انحاز مثقفون سوريون إلى الحق في الكرامة والحرية، فدفع كثيرون منهم ثمن مواقفهم من حريّاتهم وأرواحهم.

فأيّ مساحة يمكن أن تتيحها الدولة للمثقف اليوم؟ وأي علاقة تريد أن تبنيها معه؟ وأي علاقة يريد المثقف تأسيسها مع الدولة من جانبه؟

أرى أن هذا السؤال لا ينفصل عن سؤال آخر: ماذا ننتظر نحن من المثقف؟ فمسؤولية الدولة أن تضمن له مساحة حرة يفكر فيها ويختلف وينتقد، وبيئة يبدع فيها، دون أن يتحوّل قربه من المؤسسة إلى تبعية، أو اختلاّفه معها إلى خصومة.

ومسؤولية المثقف في المقابل، أن يستخدم هذه الحرية في إنتاج المعرفة وفتح الأسئلة، وتلك البيئة في بناء وعي يعين الناس على فهم أنفسهم وعالمهم، والتفكير فيما يريدون أن تكون حياتهم عليه.

وهذا يقتضي منه أن يعيد مساءلة ما نَعَدّه بديهياً، وحين أقول (يقتضي) لا أعني الواجب الذي يفرضه القانون، بل ما تملّيه المسؤولية الأخلاقية، ولذلك أربط العمل الثقافي بالأخلاق قبل كل شيء.



محمد ياسين الصالح
وزير الثقافة

لا يستطيع المثقف أن يمحو هذه الفروق باسم الوحدة، ولا أن يحولها إلى جزر منفصلة باسم التنوع، فمُسؤوليته أن يساعد في بناء لغة تسمح لهذه التجارب والحكايات بأن تكون حاضرة دون أن تنفي إحداها الأخرى، وأن تجعل اختلاف السوريين معرفة، لا سبباً جديداً للقطيعة فيما بينهم.

وأقول هذا من داخل وزارة الثقافة تحديداً؛ لأن المؤسسة أيضاً مطالبة بأن تتعلم من أدائها ومساراتها وتراجع نفسها، فحين قلنا في معرض دمشق الدولي للكتاب إن الحرية معيار، وإنه لا كتاب ممنوع، لم تكن المسألة شعاعاً، بل كانت اختباراً لفكرة أوسع: هل نستطيع أن نبني مؤسسة ثقافية تقبل بأن يدخل إليها كتاب لا يشبه رأيها، وكاتب ينتقدها، وفكرة تزعجها؟ وتلك مسؤوليتنا جميعاً، أن نجعل حرية الفكر والإبداع والتّقد أساساً لعمل المؤسسة، وأن ندرك أن حماية حرية المثقف لا تُختبر عندما يقول ما نوافق عليه، بل عندما يقول ما يخالفنا.

وفي المقابل، فإن قبول التّقد يقتضي استعداداً للمراجعة من الجميع؛ من المثقف في أفكاره، ومن المؤسسة في قراراتها، فقيمة الحوار أن يساعدنا على تبين مواضع الصواب والخطأ، وأن يدفع كل طرف إلى تثبيت ما يصح، ومراجعة ما يحتاج إلى مراجعة.

ولذلك لا أبحث عن مثقف يوافقني، بل أبحث عن مثقف يجعلني أفكر مرة أخرى.

ذلك المنحى برأيي أحد شروط الثقافة التي تستحقها سوريا اليوم.. دولة تصون حرية المثقف وتنتظر منه أن يكون مسؤولاً عن كلمته، ومثقف لا ينظر إلى المجتمع من عل، ولا يجعل إرضاء السلطة أو إرضاء «الجماعة» غاية على حساب استقلاله، ومجال عام يستطيع فيه السوري أن يقول ما يراه، ويسمع ما يخالفه، ويبقى شريكاً في الوطن.

في تجربتنا مع الناس في حفل السيدة أصاله اخترنا الاختلاف مجدياً، واحترمنا الرأي الآخر، وكذلك فعلنا في أسبوع الفن التشكيلي وفي مشاركاتنا متعددة الاهتمامات، ورفضنا وصم من اختلف معنا في توجهات الدولة والانفتاح على الآخر بصفات تجرّمه إذا عبّر عن اختلافه.

بعد كل ما عبرناه، قد تكون مسؤولية المثقف السوري أبسط وأصعب في آن واحد، أن يحمي حق السوريين في الحقيقة، وفي الذاكرة، وفي السؤال؛ وأن يبقى حراً بما يكفي ليقول للدولة ما ينبغي أن تسمعه، وللمجتمع ما يستحق أن يُناقش.

وتبعاً لذلك فعلى المثقف أن يفتح أبواب الأسئلة حين تتحول الإجابات الجاهزة إلى بديل عن التفكير، وأن يميز بين الانتماء والتعصب، وبين الوفاء للذاكرة وتحويلها إلى سجن، وبين الدفاع عن القيم وادعاء امتلاك الحقيقة كاملة.

ومن هنا تأتي مسؤوليته عن المعنى، وعن الكلمات التي نصف بها أنفسنا، والقيم التي نقيس بها أفعالنا، والصورة التي نبنينا للآخر في وعينا.. فهذه جميعاً تدخل في تشكيل علاقاتنا ببعضنا، وفي تحديد ما نقبله وما نرفضه، وما نراه ممكناً في مستقبلنا. والحديث عن مسؤولية المثقف اليوم يتصل بحضوره شريكاً في بناء البلاد؛ بما يضيفه إلى الحياة العامة من فكر وإبداع، وبقدرته على وصل الثقافة بقضايا الناس وتطلعاتهم، أما علاقته بالمؤسسة الثقافية، فأراها علاقة تقوم على الحوار والنقد المستقلين.

فللمثقف صوته الحر في الحياة العامة، ويتجلى أثره في قدرته على أن يرى أبعد مما تراه المؤسسة الرسمية، وأن يسمع ما لا يصل إلى مكاتبها، ليقول إن ثمة زاوية غابت، أو جماعة لم تُسمع، أو قراراً يحتاج إلى مراجعة، والدولة الواثقة لا تخشى هذا الصوت، بل تحتاج إليه وترتقي به.

لكن استقلالية المثقف عن السلطة ليست إلا نصف المسألة، والنصف الآخر، وربما الأصعب اليوم، هو حرية موقفه حيال ضغط جمهوره وجماعته، فقد جعلت وسائل التواصل صناعة الموقف أسرع من صناعة الفكرة، وأصبح المثقف معزّزاً لأن يتحوّل إلى منتج يومي للأحكام، يراقب رضا متابعيه كما كان آخرون، في زمن الاستبداد، يراقبون رضا السلطة، وحين يخاف المثقف من جمهوره، لا تكون الحرية حرة.

لذلك لا أرى أن مهمة المثقف اليوم هي صناعة اتفاق دائم بين الآراء المختلفة، فالمجتمعات الحية تختلف، والثقافة ليست وسيلة لإلغاء هذا الاختلاف، والأهم أن تفتح له هذه الثقافة مجالاً للحوار، وأن تساعدنا وتساعدنا على مناقشة ما جرى لنا وما نريده لبلادنا دون أن يتحول كل اختلاف إلى خصومة وصراع. وفي سوريا اليوم، تصبح هذه المسؤولية أشد تعقيداً؛ لأننا لا نعيد بناء مؤسسات فحسب، بل نعيد بناء علاقتنا بأنفسنا أيضاً، فهناك سوريون عاشوا سنوات الثورة في الداخل، وآخرون عاشوها في المنافي، ومدن تحمل طبقات مختلفة ومتنوعة من الذاكرة، وعائلات تحمل فقداً لا يشبه فقد غيرها، وجيل شاب عرف بلاده من شاشة أكثر مما عرفها في الواقع.

مقاربات

«مجلة الشام» تركّز على أسئلة
المجتمع السوري وتحولاته

تيمم الحاج هزاع
رئيس التحرير

6

أقلام عربية



جانب
الحزن المضيء
جعود الصاهود

11

الافتتاحية

المثقف السوري
ومسؤولية المعنى والاختلاف

محمد ياسين الصالح
وزير الثقافة

2

حوار خاص



مدير المكتبة الوطنية السورية سعيد حجازي
لـ «مجلة الشام» :
أولويتنا إنقاذ المخطوطات والوثائق..
والربط الرقمي بوابتنا نحو المستقبل

8

رؤى وأفكار

في الاختلاف
والتسامح
د . أحمد برقناوي

16

الاستثمار في الشباب المبدع:
حاجة وطنية ملحة

سعد نعسان - نائب وزير الثقافة

14

ثقافة الانتقاد
من التواصي بالحق إلى بناء الوعي الجمعي
عمر عبده

22

ثقافة التطوّع
من المبادرة الفردية إلى الشراكة المجتمعية
محمد ارحابي

20

دور المثقف السوري ومسؤوليته

قضية وآراء

دور المثقف في سوريا الجديدة
بين الانصياع والتمرد
إبراهيم الجبين

31

المثقف والدولة
في حقبة إعادة البناء
د . بشير زين العابدين

28

المثقف ومعرفة الوعي..
بين بناء الفكر وخوارزميات العالم الرقمي
سهير أوعري

36

المثقف وصور حضوره
أ . د . منذر عياشي

35

المثقف السوري
ومسؤوليته في زمن التحول
تقى عبد العنتصر علعل

40

المثقف السوري..
المسؤولية والدور في زمن العاصفة
د . عمر إدليبي

38



الحرف التقليدية السورية
في غرفة الإنعاش

أ. د. د. عمار محمد النصار

48

الحرف السورية..
كيف يتجدد التراث ويبقى في أيدي أصحابه

د. هلا قصص

46



حرف سورية في قوائم التراث
الثقافي اللامادي لليونسكو

52

الأزياء التراثية السورية..
بين الصون والتطوير

51

أعلام سورية

الشيخ محمد عيد العباسي..
تسعة عقود بين العلم والسجن والفقد - 2-2

حاوره: تيم الحاج وعريم حجير

56



أ.د. مازن المبارك
سيرة عالم
عاش العربية محبة ورسالة

54

قواف الشعر

سيرة نهر

سليمان خالد الجيجان

63

ذاكرة تحترق

مختار سيد صالح

62

مدرستي

مصطفى عبد الفتاح

61

فن تشكيلي

المشهد التشكيلي السوري
بين طموح المؤسسة
وخوف الفنان وشوق المغترب

68

حرفة من بلدي



طباعة الأقمشة
بالقوالب الخشبية
حرفة تتوارثها الأجيال

66

مسامير ثقافية

من قتل أليخاندر؟

د. إياس غالب الرشيد

64

مساحة ثقافية

من يصنع كلمة
«عيب»؟

د. فاطمة شيخو أحمد

81

موسيقا

الموسيقا الكردية في سوريا
ألحان لم يطوها الظلم والاستبداد

إدريس مراد

78

فنون

عزيز أسمر
أنامل خطت على الجدران
حكايات الثورة والإنسان

74

أما بعد

المعاني
التي تحكمتنا
عريم حجير

96



الحصاد

أصالة
صوت حر
عاد إلى سوريا

82

«الشَّعْل»

تركز على أسئلة المجتمع السوري وتحولاته

وضعنا أمام أعيننا منذ بدء التحضير لإطلاق «مجلة الشام»، الأسئلة التي تبدو مختلفة في ظاهرها هدفاً أساسياً لا بدّ من تحقيقه مع إصدار كل عدد. هذه الأسئلة التي تتقاطع في جوهرها عند سؤال المجتمع السوري وتحولاته.

فتحدثنا عن الهوية الثقافية السورية، وعن دور الثقافة في العدالة الانتقالية، واقتربنا من العشيرة من منظور ثقافي واجتماعي، وكان سؤال المثقف يطل من خلف هذه القضايا جميعاً: أين يقف المثقف السوري، وما دوره؟

حين اخترنا لهذا العدد أن يكون باب «قضية وآراء» عن «دور المثقف السوري ومسؤوليته»، بدا السؤال أكثر تعقيداً كلما أبحرنا فيه؛ فنحن نعيش في عالم يتسم بقدر كبير من التبدّل، تتغير فيه مصادر المعرفة والتأثير، وتتداخل الحدود بين صاحب المشروع الفكري وصانع المحتوى، وبين المعرفة والرأي، وبين ما يكتسب أهميته من قيمته الفكرية وما يصنع حضوره من قدرته على الانتشار وجذب الانتباه.

وفي سوريا، يكتسب هذا السؤال حساسية أكبر في لحظة يعاد فيها طرح أسئلة المجتمع والدولة والهوية والذاكرة والعلاقة بين السوريين بعضهم ببعض.

فكيف للمثقف السوري أن يجد موقعه وسط كل هذه التحولات؟ وكيف يحافظ على عمق المعرفة في فضاء سريع ومتغير، دون أن ينكفئ إلى دائرة نخبوية مغلقة، أو يذوب في منطق الانتشار وما تفرضه اللحظة؟ وكيف يبقى قريباً من مجتمعه، قادراً على قراءته ونقده في الوقت نفسه؟

ومن المعرفة التي يحملها المثقف ومسؤوليته عنها، نتقل في «ملف العدد» إلى معرفة من نوع آخر، حملتها الجماعة وتناقلتها عبر أجيال، وهي الجرف التراثية السورية.. معرفة سكنت الأيدي والورشات والبيوت والأسواق، واختزنّت خبرة الإنسان السوري بالمادة والمكان والجمال والعمل.

لذلك فإن صون الحرفة يتجاوز الحفاظ على منتج قديم إلى صون معرفة حيّة، وأصحابها، وشروط انتقالها واستمرارها.

فالثقافة هي الإطار الذي يمنح المعرفة معناها، ويحدد ما نراه جديراً بالحفظ، وما نعيد النظر فيه، وما نختار أن نورثه لمن يأتي بعدنا، ومن هنا يصبح السؤال عن المثقف، والحرفة، والذاكرة سؤالاً واحداً في جوهره: كيف يحافظ المجتمع على قدرته لتعريف نفسه بنفسه، وكيف يختار من داخله المعاني التي يبنى بها حاضره ومستقبله؟



تيم الحاج هزاع
رئيس التحرير



سعيد حجازي مدير المكتبة الوطنية لـ «الشامل»:

أولويتنا إنقاذ المخطوطات والوثائق والربط الرقمي بوابتنا نحو المستقبل

دمشق - حوار ميسر العاني

تختزل المكتبة الوطنية بدمشق في تفاصيلها عبقريّة الحرف السوريّ الأول، وتختبئ بين جدرانها حكاية حضارة رفدت البشرية بالعلوم والمعرفة على مرّ العصور. فالمكتبة الوطنية؛ صرخ لم يكن يوماً مجرد مخزن للكتب، بل هو عصب الهوية الحية وحارس التراث الفكري لإحدى أقدم الحضائر الإنسانية. بعد سنوات من التحديات والظروف الاستثنائية التي تركت ندوبها على الحجر والورق، تقف المكتبة اليوم على أعتاب عهد جديد، يقوده فكر طموح يسبق الزمن لإنقاذ المخطوطات الأصيلة، وعصرنة الخدمات، وبناء الجسور الرقمية التي تربط دمشق بالعالم. في هذا الحوار يتحدث الأستاذ سعيد حجازي مدير المكتبة الوطنية إلى «مجلة الشام» عن خطط الإسعاف العاجلة التي نفذتها المكتبة بعد التحرير، ومشروعات الرقمنة، والرؤية الإستراتيجية التي تعيد لهذه المؤسسة العريقة ألقها وموقعها الطبيعي في قلب المشهد الثقافي العربي والدولي.

الخدمات المقدمة للباحثين وإلغاء الروتين في الحصول على النسخ والمصورات الرقمية، إلى جانب حصر الأرشيف الوطني عبر تسلم مجموعة من الوثائق التاريخية وفرزها لتأمين حمايتها، والبّء بتأهيل الكوادر وتفعيل الأنشطة والندوات للربط بين المكتبة والمجتمع العلمي.

ما أبرز الأعمال والمشروعات التي أنجزتموها منذ تسلم إدارة المكتبة حتى اليوم؟

حققت المكتبة بين أيار 2025 وأيلول 2026 نتائج ملموسة في عدة مسارات أساسية، ففي مجال البحث العلمي استحدثت مديرية البحث والترجمة والنشر، وأطلقت مجلة التراث والمكتبات.. مجلة علمية محكمة وصدر عددها الأول، إلى جانب تحقيق خطوات عملية في مشروع تحقيق المخطوطات بطباعة كتاب «الإعلام في فضائل الشام» لابن الفركاح الفزاري، واستكمال التحقيق العلمي لكتاب «الإعلام في فضائل

يضاف إلى ذلك توقف رفد المكتبة بالكتب والمطبوعات الحديثة بشكل كبير على مدار أربعة عشر عاماً. وعلى الصعيد الإداري، كانت البيروقراطية تؤثر في تقديم الخدمات، مع حاجة الكوادر إلى تدريبات لرفع سوية العمل وتفعيل طاقتها التشغيلية.

ما الملفات التي احتاجت إلى تدخل مباشر، وما الأولويات التي وضعتها في بداية العمل؟

تركزت أولويات العمل فور تسلم الإدارة الجديدة على مسارات محددة حظيت بالتدخل المباشر، كان في مقدمتها إنقاذ المخطوطات سريعاً عبر تأمين البيئة المناسبة وتقديم دورات تخصصية في مجالات الفهرسة وتحقيق التراث والتعامل معه. كما عملت الإدارة على إتاحة المحتوى الفكري من خلال إلغاء الحظر عن المطبوعات الممنوعة وتسهيل وصول القراء إليها. وشملت الأولويات تبسيط

كيف كان واقع المكتبة الوطنية عند التحرير، وما أبرز التحديات التي وجدهتموها عند تسلم إدارتها؟

عند تسلم إدارة المكتبة في شهر أيار 2025، وقفت الإدارة على واقع صعب يتطلب إصلاحات عاجلة في عدة قطاعات رئيسية، فقد كانت المخطوطات تواجه خطراً حقيقياً جراء غياب الشروط البيئية المناسبة لحفظها فيما يتعلق بمعايير درجة الحرارة والرطوبة نتيجة الانقطاع المستمر للكهرباء والماء، مما يمكن أن يعرضها لخطر الرطوبة والحشرات، مع تراجع أداء قسم الترميم بسبب حاجته الماسة إلى أجهزة ومعدات حديثة ورفده بكوادر جديدة وتأهيلها، فضلاً عن وجود مخطوطات ووثائق أرشيفية غير مفهرسة خارج الإطار الرسمي معرضة للتلف أو الضياع. كما تجلّى تراجع البنية التقنية في الاعتماد على وسائل وأجهزة تصوير قديمة، وتقديم خدمات عقيمة للباحثين عبر نسخ ورقية مأخوذة من الميكروفيلم.



كيف يجري تطبيق الإيداع القانوني اليوم، وإلى أي مدى تستطيع المكتبة جمع الإنتاج الفكري السوري وتوثيقه؟

الإيداع القانوني هو إيداع نسخ من كل ما يصدر من إنتاج فكري سوري، ورقياً أو إلكترونياً أو سمعياً وبصرياً، لدى المكتبة الوطنية بهدف حفظه وتوثيقه، وعليه فالمكتبة الوطنية تعمل اليوم على تفعيل آليات الإيداع القانوني وتحديثها لتشمل كافة الإصدارات الوطنية، وتعتمد في ذلك على تبسيط الإجراءات وإزالة العوائق الإدارية أمام الناشرين والمؤلفين لضمان تسلم كافة المطبوعات داخل سوريا، بالتوازي مع التنسيق والمتابعة عبر المشاركات والمؤتمرات الخارجية لحصر وتوثيق ما يصدر عن السوريين في الخارج لضمّه إلى الرصيد الوطني.

أين وصلت الببليوغرافيا الوطنية السورية، وهل هناك توجه لبناء قاعدة بيانات وطنية متكاملة؟

بالتوازي مع اعتماد الأنظمة المكتبية الحديثة وأصول الفهرسة الحديثة وفق القواعد المعيارية العالمية، تعمل المكتبة باستمرار على تحويل بيانات المقتنيات والمخطوطات والوثائق التي يجري فرزها ورقمنتها إلى صيغ رقمية، ويتجه هذا المسار مباشرة نحو الوصول إلى قاعدة بيانات وطنية شاملة تربط الكتب والأطروحات الجامعية والمخطوطات والأرشيف ببعضها وتتيح البحث فيها بسهولة للجميع.

ما الخدمات التي تقدمها المكتبة اليوم للباحثين وطلاب الجامعات؟

تقدم المكتبة اليوم تسهيلات مباشرة للباحثين والطلاب من خلال قاعات مطالعة مجهزة لتناسب حاجاتهم، مع إتاحة كاملة للمطبوعات والكتب دون حظر، كما تعمل على تقديم المصورات الرقمية للمخطوطات بطرق سلسلة وبعيدة عن المعاملات المعقدة، وتوفر منصة للنشر العلمي عبر مجلتها المحكمة إلى جانب تنظيم دورات تدريبية عملية تسهم في بناء مهارات الطلاب والباحثين.



والبلاغة، وشاركت بجناح خاص في معرض دمشق الدولي للكتاب، كما شاركت المكتبة خادياً في مؤتمر المخطوطات بأرمينيا ومؤتمر المكتبات الأكاديمية بتركيا ومؤتمر الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات بقطر.



الشام» لأحمد المينيني. وفي مسار المخطوطات والرقمنة والأرشيف، أطلق مشروع مخطوطات بخط المؤلف لتوثيق المخطوطات الأصلية وحصرها، وجرى ترميم ورقمنة 295 مخطوطاً من جامعة دمشق ومحافظة حمص ومديرية أوقاف اللاذقية، مع فرز وتصنيف محتوى 42 كرتونة من الوثائق الأرشيفية التاريخية المهمة لسوريا.

أما في جانب تطوير البنية والخدمات، فقد أعدنا هيكله قاعات المطالعة لتسهيل استخدامها، وألغينا الحظر كاملاً عن المطبوعات الممنوعة وأتحنها للقراء، مع ترميم وإعادة تأهيل واجهات المكتبة بعد تضررها من الضربة الإسرائيلية، وتنفيذ دورات تخصصية في إحياء التراث ومناهج تحقيق المخطوطات وفهرستها.

وفي الأنشطة الثقافية والمشاركات، نظمت المكتبة 160 فعالية ثقافية أبرزها معرض كتاب الطفل وملتقى الحكاية السورية ومسابقة الشعر



وتوفير خدمات رقمية تتيح البحث الإلكتروني والمناظرة الرقمية للوثائق داخل القاعات بسرعة وسهولة، مع ضمان استدامة النشاط الثقافي لجعل المكتبة مقصداً دائماً للمؤتمرات والندوات والمعارض المحلية والدولية.

إن مسيرة التحديث الرقمي والإنقاذ التي تشهدها المكتبة الوطنية اليوم، تثبت أن الذاكرة السورية عصية على النسيان، وستبقى هذه المنارة العريقة قبلة للمعرفة وحاضنة للفكر، تعيد صياغة المستقبل بحبر الأمل والعمل المؤسسي المتميز.

تسير المكتبة وفق رؤية محددة لتكون خلال السنوات الثلاث القادمة مركزاً مرجعياً ورقمياً حديثاً يقدم خدماته بكفاءة عالية، وتحقق هذه الرؤية من خلال تطوير منظومة رقمية متكاملة لأرشفة وحفظ المخطوطات والوثائق التاريخية إلكترونياً وحمايتها، والاستمرار في النشر المنهجي للتراث والمخطوطات عبر مجلة المكتبة وإصداراتها المستحدثة.

كما تتضمن الرؤية تحديث مركز الترميم بتزويده بأحدث التقنيات وتدريب الكوادر الفنية،

ما موقع التعاون العربي والدولي في عمل المكتبة اليوم؟

استعادت المكتبة الوطنية موقعها في المحافل الدولية من خلال مشاركتها الفاعلة في مؤتمرات تخصصية في قطر وتركيا وأرمينيا، ويسهم هذا التعاون بشكل مباشر في تبادل الخبرات الفنية بمجالات الترميم والرقمنة، وبناء علاقات مؤسسية تخدم حفظ التراث الوطني وتطوير عمل المكتبة.

هل تعملون على ربط المكتبة الوطنية بالمكتبات السورية والعربية والدولية ضمن شبكات مشتركة؟

يتصدر الربط الشبكي خطط التحديث التي تعمل عليها المكتبة، حيث يمثل نجاح مشروع رقمنة مخطوطات من جهات محلية متعددة كجامعة دمشق وحمص واللاذقية الخلية الأولى لشبكة معلوماتية وطنية، وتسعى المكتبة إلى توسيع هذا الربط ليشمل الشبكات العربية والدولية، بما يسهّل على الباحثين الوصول إلى المراجع، ويضمن حصر وتوثيق المقتنيات والتراث السوري الموجود في الخارج عبر قواعد بيانات رقمية موحدة.

كيف تتصورون موقع المكتبة الوطنية السورية بعد 3 سنوات؟



جانب الحزن المضيء

الأدب والمشاعر والفن لذلك يرتقي به الحزنُ فنيّاً.

إن الفرح صوته عالٍ، وربما حجب رؤية الأشياء بوضوح، والحزن الحقيقي يميل إلى الهدوء والسكينة والانعزال، وهذه كلها مواطنٌ إبداعٍ حين نفتش عنها؛ لذلك ربما كشف الحزن لنا جوانب إبداعية في أنفسنا لم نرها من قبل.

الحزن ليس جميلاً ولا أحاول إظهاره بصورة أجمل، هو قبيح ولا يليق بوجهك أبداً، ولا بقلبك، ولكني أحاول أن أتلمس بعض جوانبه التي أحرق القلوب فأنضجت تجاربها، وشكلت الذهب الذي كتبه الأدباء، وكلما زادت نيرانه بالقلب لجأ صاحبه إلى الأدب والفن، يحاول أن يصب على ناره من بحور الشعر وعذب الألحان، وطبعاً سيجد بغيته على مقدار حزنه.. ومَن يصدق أننا في يومٍ ما نصبح مدينين للحزن.



حمود الصاهود

باحث سعودي
في الأدب العربي

رفيع يُعبر عنه، ويصفه، والحزين بحاجة إلى فن عظيم يواسيه ويأخذ بيده، فالكلام العادي يقع دون الحزن ولا يصل إليه، ولذلك يجد الحزين أنه مضطر إلى البحث عما يخفف عنه هذه الوطأة ولا يجدها إلا في العظيم من

يؤسفني أن أقول إنَّ للحزن دوراً كبيراً في تطوير ذائقة الناس، فلم أرَ مَنْ مرَّ بحزنٍ حقيقي إلا وصحبه ارتفاع بالذَّوق والحس، ولو تذكرتم معي ممن هم حولكم وتأمّلتموهم لربما وجدتم مَنْ ارتفع ذوقه الشّعري والموسيقي فجأة بعد أن طرقت الأحزان قلبه، وعبثت به رياح الهموم وهو الذي لم يكن قبل الحزن يعرف من ذلك شيئاً.. ومَنْ أعاد النَّظر في الشعراء وجد أن بعضهم أنضح الحزنُ تجربته، وجعل نتاجه مختلفاً عما كان من قبل، فالمتأمل مثلاً في شعر ابن زيدون وحياته سيرى أن شعره الغزليّ بوجه خاص مر بمراحل عدة، أعظمها ما قاله عندما أدارت له ولادة بنت المستكفي ظهرها، وتركته خلفها يتقلب على لهيب الفراق والقطيعة، ليكتب لنا بعد ذلك أعذب الأبيات، فكأنَّ شعره احتاج إلى نار ولادة حتى ينضج بهذه الصورة. إن الحزن الحقيقي بحاجة إلى أدب





رؤى وأفكار

يفتح باب «رؤى وأفكار» مساحةً لمناقشة قضايا تمس المجتمع السوري في لحظته الراهنة، من الاستثمار في الشباب المبدع، وثقافة النقد، إلى الاختلاف والتسامح والعمل التطوعي. مقالات تجمع بين التأمل الفكري والهمّ المجتمعي، وتسعى إلى طرح أسئلة تتصل ببناء الإنسان، وتعزيز المشاركة، وتوسيع مساحة الحوار والمسؤولية في الحياة العامة السورية اليوم.

الاستثمار في الشباب المبدع.. حاجة وطنية ملحة

ثانياً: الحتمية الرقمية واقتصاد المعرفة: العالم من حولنا يتغير بصورة مذهلة، والثروات لم تعد مدفونة في باطن الأرض، بل في عقول البشر. والاستثمار في «اقتصاد المعرفة» يتيح لبلدنا تحقيق قفزات تنموية كبرى بأقل التكاليف المادية؛ فالأفكار والبرمجيات لا تحتاج إلى مرافق شحن أو اتفاقيات معقدة، بل تحتاج إلى بنية فكرية تحتضنها لتباع وتصدر إلى العالم.

ثالثاً: ملء الفراغ الإستراتيجي للعقول: لقد دفعت سوريا ضريبة قاسية من دماء أبنائها وهجرة كفاءاتها خلال سنوات الحرب. إن الاستثمار الجاد والعميق فيمن بقي من الشباب، وتهيئة بيئة جاذبة لمن يود العودة، هو السبيل الوحيد لبناء صف ثاني وثالث من القادة والمبتكرين في شتى قطاعات الدولة.

مسارات الابداع المستهدفة.. أين نستثمر؟

حين نصوغ إستراتيجية وطنية للاستثمار في الإبداع، فإننا نوجه بوصلتنا نحو مسارات عمل حيوية، تتكامل فيها العلوم والتكنولوجيا مع الفكر والثقافة.

مسار التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي: نملك جيلاً شاباً لديه شغف وموهبة استثنائية في البرمجة والعلوم الرقمية. وهدفنا هو تمكين هذا الشباب من إنتاج حلول تكنولوجية تخدم قطاعات الصحة والتعليم والدفع الإلكتروني، ليكون الشاب السوري منتجاً ومصدراً للمعرفة وهو في منزله ومكتبه.

مسار الهندسة والصناعات التطبيقية: تشجيع المبتكرين في الجامعات والمعاهد التقنية على ربط

عندما نتحدث عن الاستثمار في المجال الثقافي، ينصرف الذهن تلقائياً إلى الرعاية الفنية، وإلى الأمسيات الأدبية، أو صون الآثار العريقة. لكن مفهوم الاستثمار اليوم يحتاج إلى أن يمتد أبعد من ذلك، إلى الثقافة كـ«عصب للأمن القومي»، وإلى الإبداع كـ«رأس مال سيادي» لا يقل خطورة عن النفط والقمح والمصانع.

إن مفهومنا للإبداع في الدولة السورية يجب أن يتحرر من قيود التعريف الضيق، فالإبداع ليس قصيدة تُلقى فحسب، بل هو «العقلية والمنهجية الفكرية التي ترفض الاستسلام للقوالب الهشة وتجترح الحلول وسط الركام». هذا العقل المبدع والمبتكر هو الذي يحتاج إليه قطاع البرمجيات ليخترق الحصار، وهو ذاته الذي يحتاج إليه قطاع الصناعة ليرمم خطوط إنتاجه، وهو ذاته الذي يحتاج إليه الحقول الزراعية لتقاوم الجفاف والتشظي.

إعادة إعمار سوريا لا تعني أبداً رصف الحجارة وتنشيد الجدران الصامته؛ بل تعني أولاً وأخيراً: إعمار الإنسان السوري، وضخ الحياة والجرأة في عقول شبابنا المبدع. التشخيص الجريء.. لماذا الإبداع حاجة مصيرية؟

الاستثمار في الشباب المبدع لم يعد خياراً ترفيهياً، بل هو حاجة وطنية ملحة واستحقاق وجودي لثلاثة أسباب إستراتيجية:

أولاً: الإبداع هو خط الدفاع الأول عن سيادتنا الاقتصادية. فمن خلاله يتحول إبداع الشباب من حالة ترف فكري إلى «غريزة بقاء». العقل السوري الشاب قادر على هندسة بدائل الطاقة، وابتكار برمجيات الإدارة، وتصنيع قطع التبديل محلياً.



سعد نعسان

نائب وزير الثقافة

الاستثمار في
الشباب المبدع
لم يعد خياراً
ترفيهياً، بل هو
حاجة وطنية ملحة
واستحقاق وجودي
لثلاثة أسباب
إستراتيجية





مشروعاتهم بالواقع الصناعي السوري؛ إذ إننا بحاجة إلى إبداع الشباب في ابتكار منظومات طاقة بديلة متكاملة، وإعادة تدوير المخلفات، ورفع كفاءة المصانع المحلية بموارد شحيحة.

مسار الزراعة الذكية والأمن الغذائي: الأرض السورية كانت دائماً مهد العطاء، واستمرارها يتطلب إدماج التكنولوجيا بالزراعة.. نستهدف دعم المشروعات الشبابية التي تطور حلولاً ذكية للري، ومبيدات حيوية مبتكرة، وتقنيات زراعية تضمن أمننا الغذائي في وجه التغيرات المناخية.

مسار الصناعات الثقافية والإبداعية (Creative Industries): وهنا يبرز الدور المحوري لوزارةنا؛ حيث نسعى لتمكين الشباب في صناعة المحتوى الرقمي، والسينما، والتصميم، والدراما، إضافة إلى تطوير الحرف التقليدية برؤية استثمارية عصرية تجعل من الإرث الثقافي السوري قطاعاً اقتصادياً مدرّجاً للدخل ومشغلاً للآلاف، وحصناً منيعاً يحمي هويتنا من التشويه.

ميثاق التمكين.. كيف نتقل من الرعاية إلى الاستثمار؟

الخطابات الرثانة لا تبني مستقبلاً ما لم تترجم إلى سياسات وقرارات على الأرض. الاستثمار في الشباب يتطلب الانتقال من عقلية «الرعاية والتعاطف» إلى عقلية «الشراكة والاستثمار الفعلي» عبر ميثاق عمل مشترك يضم أربعة محاور:

النسب البيروقراطي والتسهيلات التشريعية: يجب أن نعمل بوصفنا منظومة حكومية على نسف التعقيدات الإدارية، وتقديم تسهيلات استثنائية لترخيص الشركات الناشئة (Startups) للشباب، مع تطوير وتفعيل قوانين حماية الملكية الفكرية وبراءات الاختراع لضمان حقوق المبتكرين.

إطلاق الرأسمالية الجريئة والتمويل الذكي: يحتاج القطاع الخاص السوري والمؤسسات المالية والخدمية إلى التخلي عن آليات الإقراض التقليدية العقيمة تجاه الشباب. نحن بحاجة إلى إطلاق صناديق «رأس المال المخاطر» (Venture Capital) التي تؤمن بالفكرة، وتغامر مع الشاب، وتشاركه النجاح

طاقات ومعارف وقدرة على الابتكار يمكن أن تساهم مباشرة في التعافي والبناء، وما ينجزه كثير منهم، رغم صعوبة الظروف، يثبت أن لديهم قدرة على إنتاج الحلول، وإطلاق المبادرات، وخلق فرص جديدة في الاقتصاد والثقافة والمجتمع.

وتتمثل مسؤولية الدولة ومؤسساتها في توفير البيئة التي تسمح لهذه الطاقات بالعمل والنمو، وفتح المجال أمام الشباب ليكونوا شركاء حقيقيين في التخطيط والتنفيذ وصناعة القرار المرتبط بمستقبلهم ومستقبل البلاد.

إن بناء سوريا يحتاج إلى هذه الشراكة؛ شراكة تمنح الشباب مساحة للفعل، وتستفيد من معرفتهم وإبداعهم، وتجعل منهم قوة أساسية في مسار النهوض، ضمن رؤية تقوم على العلم والابتكار والأصالة.

بدلاً من مكبلات الضمانات التعجيزية. **تكمّل مخرجات التعليم مع الإنتاج:** يجب ردم الفجوة بين مدرجات الجامعات ومعامل الإنتاج؛ فمشروعات التخرج لطلابنا يجب ألا تكون مجرد حبر على ورق للحصول على الشهادة؛ بل يجب أن تتلقفها «حاضنات أعمال مشتركة» تحول الأطروحة العلمية إلى شركة تجارية ترفد السوق وتخلق فرص عمل.

تأمين البنية التحتية الرقمية مادة خام: إن توفير حواضن ومراكز ابتكار مزودة بإنترنت مستقر عالي السرعة، وحلول طاقة بديلة مستدامة، هو بمنزلة تقديم النفط والمواد الخام لمبتكري العصر الحديث. العقل والحاسوب والشبكة المستقرة هي مصنع شبابنا اليوم.

الشباب شركاء في المستقبل يمتلك الشباب السوري اليوم

في الاختلاف والتسامح

البشر. إنه تنوع في المصالح غير المتساوية، بل وتناقض في المصالح أحياناً. إنه، أخيراً، تنوع في الانتماءات الإثنية - القومية، والطبقية، والدينية، والأيدولوجية، داخل الوطن - المجتمع، وعلى مستوى البشرية.

وكل تضاد وتناقض وصراع هو اختلاف بالضرورة، ولكن ليس كل اختلاف بالضرورة تناقضاً وتضاداً وصراعاً.

يصل الاختلاف إلى حد التناقض إذا بلغت المصالح بين البشر درجة كبيرة من التعارض، ويصل الاختلاف إلى حد الصراع إذا قررت جهة من جهات التناقض، أو كلاهما، حسم التناقض واقعياً؛ فيكون حل الصراع عن طريق الغلبة. ولا يصل التناقض إلى حد الصراع إلا إذا تحول إلى واقع موعٍ به، وإلى إرادة فعل تتجه إلى حسمه.

وأخطر ما يواجه الاختلاف، بوصفه حالة معيشة، هو التعصب؛ والتعصب حالة وعي بالآخر وموقف منه، يقومان على تبني أعمى لفكرة ما تبلغ درجة اليقين المطلق، وينظر على أساسها إلى الآخر المختلف بوصفه انزياًحاً عن جادة الصواب، أو بوصفه موضوعاً لحكم قيمة سلبية يقود، في النهاية، إلى نفي الآخر بكل أشكال النفي.

فالاختلاف الذي يأخذ صيغة أيديولوجية نافية لحق الآخر هو التعصب في حقيقته. والاختلاف حين يأخذ الصيغة التعصبية، أي حين تتحول العصبية، أي عصبية، إلى أيديولوجيا، يغدو الحقل الذي ينفي فيه المتعصبون بعضهم بعضاً، نفيًا قد يصل إلى حد القتل.

وهذا يعني أن كل عصبية، مهما كانت: قبلية، أو دينية، أو سياسية، أو طبقية، أو قومية، أو مناطقية أو عرقية، حين تصاغ في أيديولوجيا نافية للآخر،

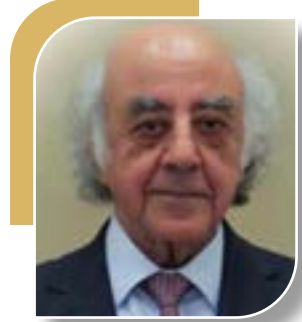
يمر الوعي العربي بحالة من النزعة الشمولية في علاقته بالاختلاف، وما يزال يسير بخطى بطيئة على طريق الاعتراف بالاختلاف، وبالحق في الاختلاف.

بل إنَّ القوى النابذة للاختلاف ما تزال عنيدة، تقاوم، ما أمكنها المقاومة، أيَّ محاولة تسمح للاختلاف بأن يرفع شارة النصر. وتتوزع هذه القوى المعاندة للاختلاف على مجموعة من الضُّعْد: أولها السلطة، وليس آخرها القوى المتعصبة طائفيًا وأيديولوجيًا ودينيًا، ناهيك بمنظومة القيم السائدة التي ما تزال تنظر إلى الاختلاف بوصفه خروجاً عن المألوف، أو تهديداً لوحدة الجماعة.

وعندي أن صورة التناقض الفاعل اليوم هي صورة واقع يعجُّ بالاختلاف، مجتمع من شيمته الاختلاف، بوصفه سمة جوهرية من سماته، ووعي يرى في الاختلاف معرّة أو أمراً مرذولاً أو خطراً، فيبحث عن كل السبل، إما لطمس الاختلاف الذي لا يُطمس في الأصل، وإما للخول دون ظهوره العملي الفاعل؛ لأن ظهوره الفاعل تجديد للحياة.

وينتج من عملية كهذه غياب مفهوم التسامح. فرفض الاختلاف يقود بالضرورة إلى رفض التسامح، وليس للتسامح من وجود واقعي دون الإقرار بحق الاختلاف، والاعتراف بأنه أقرب إلى الصورة شبه الوحيدة لتعّين المجتمع، أي مجتمع.

حتى صار القول صحيحاً إن حق الاختلاف صورة من صور حقوق الإنسان، وإن قمع الاختلاف، إذ ذاك، حرمان للإنسان من أحد أهم حقوقه. الاختلاف، الذي أقصده في خطابي هذا، هو درجة ما من عدم التطابق في الآراء والأفكار والمعتقدات بين



د . أحمد برقأوي
فيلسوف ومفكر

**إن غياب التسامح
غياب للعقل
بالضرورة؛ لأن العقل
يبدأ من الاعتراف
بأن الآخر موجود،
وأن وجوده ليس
خطأ يحتاج
إلى تصحيح**





من الصعب أن يقوم حوار عقلاني، أو أي حوار ذي نتائج تصالحية، بين الأديان والشيع، فالمقدسات لا تتحاور أصلاً؛ ليس هناك، إناً، إلا خيار وحيد: التعايش بين البشر، وما التعايش هنا إلا الإقرار بحق الإنسان في الاعتقاد. أما حق الإنسان في ارتكاب الخطأ، والاعتراف بهذا الحق، فهي أسطع صورة من صور تعيّن التسامح. أقصد هنا أن جزءاً من البشر قد يرتكب الخطأ من وجهة نظر جزء آخر، اعتقاداً منه أنه يأتي الصواب.

إنني أتحدث هنا عن موقف من العالم لكل إنسان في هذا المجتمع، ولكل جماعة. أتحدث عن الخطأ بوصفه حالة نسبية؛ يعتقد صاحبه أنه صواب، ولكنه لا يقود، بالضرورة، إلى تدمير الآخر.

فالموقف من الحياة الإنسانية، والرؤى الاجتماعية، والتصورات الفكرية، هي في الغالب احتمالية

ولنعين، تعييناً أغنى، هذا المفهوم: التسامح الذي هو تعيّن لحالة من حالات الاختلاف.

فالدين، مثلاً، عصبية ما تربط بين أفراد يعتقدون اعتقاداً جازماً ببعض الترسيمات المعنوية التي تصل إلى حد التقديس. والواقع ينطوي على تعدد الأديان، وعلى تعدد الشيع داخل الدين الواحد، أي على تعدد العصبية. والتعصب الديني هو تحويل العصبية إلى أيديولوجيا نافية، كما قلنا.

فالصراعات الدينية - الطائفية داخل المجتمع ليست، في جوهرها، سوى تحويل الدين إلى أيديولوجيا تعصبية نافية للآخر، وقد تكون المسألة كلها توظيفاً دينياً لأهداف دنيوية لا أكثر.

والمفهوم الدال على التسامح بين الأديان هو التعايش. إذ لما كان من المستحيل أن تعتقد أيّ فرقة دينية بمعتقدات فرقة أخرى، أو أن يرضى دين بترسيمات دين آخر، ولما كان

تتحول إلى عصبية تعصبية؛ أي إلى قوة لا ترى وجودها إلا في نفي وجود الآخر. وأهم مظهر من مظاهر الأيديولوجيا التعصبية، سلوكاً أو فكراً، غياب أي منطق عقلاني في التعامل مع الآخر، ما يعني غياب أي مظهر من مظاهر التسامح مع المختلفين. بل قل: إن غياب التسامح غياب للعقل بالضرورة؛ لأن العقل يبدأ من الاعتراف بأن الآخر موجود، وأن وجوده ليس خطأ يحتاج إلى تصحيح.

والتسامح مفهوم يدل على موقف من الآخر مؤسس أولاً على حق الآخر في الحرية، وثانياً على حق الآخر في ارتكاب الخطأ، وثالثاً، وأساساً، على حق الاختلاف.

التسامح، إنناً، تعيّن لعلاقة بين مختلفين يعيشون في حقل من العلاقات المعشورية أو سواها. إنه وعي بالآخر، وموقف من الآخر، وسلوك تجاه الآخر.

جداً. وادعاء جماعة من الناس امتلاك الصواب وحدها هو موقف استبدادي، سلبي، نافٍ للآخر.

إن الحق في ارتكاب الخطأ يعني الحق في الاعتقاد بالصواب بوصفه حقاً إنسانياً. وعندها يغدو الاختلاف، الذي قد يصل إلى حد التضاد في التعبير عن الصواب، والذي يقسم البشر بين مخطئين ومصيبين، بادعاء أحد الطرفين أو أكثر، صورة من صور حق الإنسان في الاعتقاد بالصواب، وفي التعبير عنه، حتى ولو رآه الآخرون خطأ.

وهذا المبدأ يجعل من الحقيقة نسبية دون أن يلغي موضوعيتها. وزرع الاعتقاد بالحقيقة النسبية، بوصفها حقيقة موضوعية، هو عين التسامح في عالم الأفكار والأيدولوجيا؛ بل إنه يحذر الأيدولوجيا، التي هي غير تسامحية في طبيعتها، من أفقها النافي والاستبدادي.

لكن هذا لا يعني أن ننظر إلى الأخطاء بالمطلق على أنها حقائق نسبية، أو أنها مشرعة انطلاقاً من نسبية الحقيقة وحق ارتكاب الخطأ. فليس هناك نسبية مطلقة، وإلا ما عاد للحقيقة من معيار.

ثم إن كل ما يؤدي إلى إحداث أذى مادي أو معنوي باسم الاعتقاد هو خطأ بالضرورة، ناهيك بأن الاعتقاد بحق الخطأ يجب أن يكون مبدأ عاماً، وليس وقفاً على جهة دون أخرى، وإلا لما عاد للتسامح، من هذه الزاوية، أي معنى. وهذا ينطبق أكثر ما ينطبق على الاعتقاد السياسي والتسامح السياسي.

فالاختلاف السياسي هو، في النهاية، تعبير عن اختلاف المصالح، أو عن الاختلاف في التعبير عن المصالح، وعن حرية الخيارات السياسية تجاه مشكلات المجتمع والسلطة. وعلامة الصحة في المجتمع المعاصر هي الاختلاف السياسي، لا الإجماع المصطنع.

يقوم مفهوم التسامح على الحق في الاختلاف السياسي، والحق في التعبير عنه. وتعيّن التسامح هنا لا يكون إلا في حقل الحوار، والتعبير السلمي عن الاختلاف.

والكل يعرف أن المفهوم البديل عن الحوار المعبر عن التسامح هو مفهوم الإقصاء والنبذ والنفى... إلخ. وأنا هنا أتحدث عن مجتمع طبيعي، غير واقع في حروب أهلية أو ما شابه ذلك.

وتظهر أهمية مفهوم التسامح أكثر ما تظهر في الجانب التقليدي من المجتمع، وبخاصة في علاقتنا بالماضي. فالتسامح مع الماضي يبدو اليوم أحد أهم شروط تعيّن التسامح في الحاضر ومعه. فتوزع الناس في مشاربهم انطلاقاً من صناعة الماضي لهم حالة طبيعية. أما أن يتحول هذا الماضي إلى أساس لوعيهم المعاصر بالعالم، فتلك كارثة تعبر عن مجتمع راكد.

ذلك أن البشر يلقون بالمسؤولية على العائشين بوصفهم استمراراً لصنّاع الماضي، فيغدو الذين لا دخل لهم في صناعة أحداث الماضي عرضة للانتقام من الماضي أو الثأر منه، وكأن الزمن قد توقف في لحظة لا سبيل إلى الإفلات منها.

أو أن الماضي قد وهب الناس هوية ثابتة لا سبيل لإطلاقاً إلى تغييرها، فإذا نحن نحدد علاقتنا بالإنسان انطلاقاً من وشم عمره مئات السنين.

والتسامح مع الماضي تحرر

منه، وشرط أساسي لصناعة الحاضر والمستقبل، وشرط مهم لإقامة علاقات معشرية منطلقة من مفهوم الإنسان لا من شبح الماضي.

دعوني الآن، وقبل أن أحدد شروطاً لتعيين التسامح واقعاً، أن أطرح السؤال الآتي: ما حدود التسامح؟ أفترض أولاً أن التسامح ليس مفهوماً صالحاً دائماً لفهم العلاقة بين البشر؛ فهناك مفاهيم دالة كثيرة على هذه العلاقة. وإن هناك حداً أساسياً للتسامح، وإلا انقلب التسامح إلى خنوع، ذلك الحد هو الحق، لا تسامح مع الاعتداء على الحق.

كان بمقدوري أن أتحدث عن رفض التسامح مع الاعتداء على الكرامة الإنسانية، وعلى الحرية، وعلى الحياة، وعلى المستقبل... إلخ، لكنني أثرت استخدام مفهوم الحق، لأنه ينطوي على كل تلك الحقوق التي ذكرت.

إن فكرة الحق التي لا تسامح في الاعتداء عليها تستنفد كل الوجود الإنساني كما يجب أن يكون.

فالحق في الكرامة الإنسانية، الحق في وعي الإنسان بذاته على أنه كائن وقيمة بحد ذاته؛ وهذه الكرامة ذات ارتباط شديد بالشعور بالحرية. وعليه فالحق في الكرامة هو بالضرورة حق في الحرية، والحق في الحياة هو حق في الحياة الكريمة الحرة.

وإذا كان الأمر هكذا، وهو هكذا، فلا تسامح مع العنصرية فكرياً وسلوكياً؛ لأنها تقود إلى التمييز فكرياً وسلوكياً.

ولا تسامح مع الاحتلال والمحتل، لأنه يلغي الحق في الحرية والحياة والكرامة والوجود بعامته.

بهذا المعنى، فلا تسامح مع الصهيونية بوصفها أيدولوجيا عنصرية، ولا تسامح مع دولة تقوم على الاحتلال والقتل وانتهاك الكرامة الإنسانية.

لا تسامح مع الاستبداد، لأنه العدو الأكبر للكرامة والحرية. ولا تسامح مع نظام اجتماعي يجعل الفقر قدراً موروثاً، لأن الفقر، حين يتحول إلى بنية دائمة تحرم الإنسان من شروط الحياة الكريمة، هو إهانة للإنسان.

أعود إلى السؤال: ما الشروط الكفيلة بتعيين التسامح واقعياً في عالم العرب اليوم؟

يقوم مفهوم التسامح على الحق في الاختلاف السياسي، والحق في التعبير عنه. وتعيّن التسامح هنا لا يكون إلا في حقل الحوار، والتعبير السلمي عن الاختلاف



نفسه أن خلاصهم لا يكون بإعادة إنتاج الاعتداء، بل بتأسيس مجتمع الاعدوان.

مجتمع يكون فيه الاختلاف حقاً، والحرية حقاً، والكرامة حقاً، والتسامح ليس فضيلة فوقية يمنحها القوي للضعيف، بل علاقة بين أحرار. فالتسامح لا يبدأ حين أسمح للآخر بأن يكون موجوداً، يبدأ حين أعترف بأن وجود الآخر المختلف حق لا أملك أنا، ولا تملك الجماعة، ولا تملك الدولة، حق مصادره. وحين يصبح الاختلاف حقاً، يصبح التسامح ضرورة. وحين تصبح الحرية واقعاً، يصبح التسامح ثقافة. وحين يصبح الحق متساوياً بين البشر، يصبح المجتمع مجتمعاً للإنسان.

تلك هي في النهاية، المسافة بين مجتمع يخاف الاختلاف ومجتمع يصنع حياته بالاختلاف. وبين مجتمع يريد من التسامح أن يكون موعظة، ومجتمع يجعل منه نمطاً للوجود في دولة القانون والحق والحرية، والمواطنة.

التي تحول الوعي الديني من شكله التعصبي إلى صورته التسامحية، حين ترفع عن الدين عبء السلطة، وعن السلطة عبء المقدس.

لكن لا معنى واقعياً للدولة دون التحقق الواقعي للمواطنة، التي هي التعيين الأرقى الآن للحرية المجتمعية. والمواطن هو الإنسان وقد تعيّن في صورة الحرية والحق والقدرة على ممارستها. والمواطن، ببساطة، هو الحر.

ولا يستطيع أي مجتمع أن يجعل من التسامح نمط وجود إلا إذا تحول إلى قوة رادعة لأيّ قوة تمارس نفي الحق، سواء كانت قوة السلطة، أو قوة رأس المال، أو أيّ قوة أرضية مستندة إلى المقدس.

إننا نعيش في كيانات أهم سماتها الاعتداء؛ كيانات العدوان المتعدد، كيانات الغرائز التي لم تُثَقَّف بعد. ولهذا يحتاج التسامح إلى قوة بشرية؛ إلى قوة بشر يدركون أنهم معتدّ عليهم، ويدركون في الوقت

كيف لنا أن ننقل التسامح من مفهوم أخلاقي يتعين في خطاب وعظي إلى عادة يمارسها البشر.. إلى طبيعة ثانية؟ وهل يمكن سن قانون اسمه قانون التسامح؟

اعلموا أن دولة التسامح ليست هي التي تسن قانوناً للتسامح، بل تلك التي يُؤسّس قانونها على الحق، والحفاظ على الحق، والتساوي في الحق. والحق المجرد لا قيمة له؛ لا قيمة له إلا في تحقيق دولة الحق، أي إلا في تعيّن واقعياً. ولا تعيّن واقعياً لدولة الحق إلا بالتعيين الواقعي لمفهوم الحرية، تعيّن سياسياً واجتماعياً وثقافياً.

وعندي أنه لا يمكن أن يتحقق مفهوم التسامح واقعياً إلا بتلازم فكرتي الحق والحرية. وكل اعتداء على الحق والحرية المتلازمين هو نفس كامل لمفهوم التسامح.

وعبثاً يكون القول إن التسامح يمكن أن يتحقق في دولة دينية؛ أو أيديولوجية، في الدولة فقط بمعناها الكلي المعبر عن الانتماء، الدولة هي

ثقافة التطوع..

من المبادرة الفردية إلى الشراكة المجتمعية

محلية تنظم مواردها المحدودة استجابة لحاجات يومية ملحة. وفي كثير من هذه التجارب، صنع الجهد الصغير فرقاً حين جاء في مكانه الصحيح ولّبي حاجة حقيقية. هذه الخبرة الاجتماعية رصيد يستحق أن يُبنى عليه اليوم، والتطوع الذي نما خلال سنوات الحاجة يمكن أن يتطور اليوم إلى ممارسة أكثر تنظيماً واستقراراً، تدخل في الحياة اليومية للمدرسة والجامعة والحي والمؤسسة والجمعية والمركز الثقافي، وعندها تصبح المبادرة جزءاً طبيعياً من علاقة الإنسان بمجتمعه.

ومن أهم آثار التطوع أنه ينقل الإنسان من موقع المتلقي إلى موقع الفاعل، فالشخص الذي يشارك في تنظيم فعالية، أو تعليم طفل، أو توثيق تراث محلي، أو حماية موقع أثري، أو خدمة حيّه، يختبر بصورة مباشرة معنى المشاركة، ويتعلم أن أثره في المجتمع يرتبط بما يستطيع أن يقدمه من وقت وخبرة ومعرفة. وتزداد قوة هذه المشاركة حين يلتقي مع عمل المؤسسات ضمن علاقة تقوم على التكامل، فالمؤسسات تملك الموارد والخبرة والقدرة على التنظيم، فيما يمتلك المجتمع معرفة قريبة بحاجاته وتفاصيله اليومية. وحين يلتقي الطرفان ضمن إطار واضح، تصبح المبادرات أكثر قدرة على الوصول إلى الناس والاستمرار والتطور، ويتحول الجهد الفردي إلى أثر أوسع وأكثر استدامة.

ولهذا تحتاج ثقافة التطوع إلى تنظيمٍ بقدر حاجتها إلى الرغبة في العطاء، فالتطوع يحتاج إلى معرفة دوره ومسؤوليته، وإلى التدريب حين تتطلب المهمة ذلك، وإلى فهم البيئة التي يعمل فيها، كما

يصبح المجتمع أكثر تماسكاً عندما يشعر أفراده بأنهم شركاء فيه، وأن لكل واحد منهم دوراً يمكن أن يؤديه في خدمة الناس والمكان الذي يعيش فيه، ومع ترسخ هذا الشعور بالمسؤولية والمشاركة، تتشكل ثقافة التطوع وتصبح المبادرة والعمل المشترك جزءاً من علاقة الإنسان بمجتمعه.

والتطوع في أبسط معانيه أن يمنح الإنسان شيئاً مما يملك: وقتاً، أو جهداً، أو معرفة، أو خبرة، لخدمة الآخرين والمجتمع. وقد يبدأ بمبادرة صغيرة، ويتسع أثره حين تتكرر المبادرات، ويلتقي أصحابها في عمل مشترك، وتتراكم الخبرات لتصبح ممارسة أكثر رسوخاً في الحياة الاجتماعية.

ومع الوقت، تتحول الجهود الفردية المتفرقة إلى ثقافة اجتماعية راسخة، يشعر فيها الناس بأن المشاركة جزء من مسؤوليتهم تجاه مجتمعهم، وأن ما يقدمونه قادراً على صنع أثر حقيقي في حياة الآخرين.

وفي جوهر هذه الثقافة بعد أخلاقي أصيل؛ فالعطاء يرتبط بالأمانة، والمساعدة باحترام كرامة الإنسان، والمبادرة بالمسؤولية، والعمل الجماعي بالثقة والالتزام.

وفي سوريا اليوم، يكتسب هذا المعنى أهمية خاصة، فقد اختبرنا خلال سنوات الثورة ظروفاً قاسية وحاجات واسعة، وأظهرت تلك السنوات قدرة كبيرة على المبادرة والتكافل والعمل الأهلي.

فقد ظهرت مجموعات شبابية ومبادرات محلية وأفراد عملوا في الإغاثة والتعليم والصحة والثقافة وحماية التراث، ورأينا أشخاصاً يحولون خبراتهم المهنية إلى خدمة عامة، وشباباً يخوضون مجالات جديدة، ومجتمعات



محمد ارحابي

مؤسس مبادرات
إنسانية وتطوعية

من أهم
آثار التطوع
أنه ينقل الإنسان
من
موقع المتلقي
إلى
موقع الفاعل





وتوثيق وتقييم، وإلى شراكات تجمع المؤسسات العامة والمجتمع المدني والجامعات والمبادرات المحلية، ومع تراكم الخبرات وتطويرها والاستفادة منها، تتحول المبادرات الموسمية إلى ممارسة مستقرة في الحياة الاجتماعية. وفي سوريا التي نريد بناءها، تستطيع ثقافة التطوع أن تساهم في إعادة صياغة علاقة المواطن بمجتمعه، فأعمار البلد يشمل المؤسسات والبنية والخدمات، ويمتد إلى بناء الثقة بين الناس، وتعزيز المسؤولية، واستعادة القدرة على العمل معاً.

وحين يدرك الإنسان أن جهده، مهما بدا صغيراً، قادرٌ على تحسين حياة شخص، أو حماية مكان، أو نقل معرفة، أو خدمة مجتمعه، تصبح المشاركة جزءاً من معنى علاقته ببلده؛ بأن يكون له نصيب فيه، وأن يكون لبلده نصيب من وقته وجهده ومعرفته.

ومع تحول هذه القناعة إلى ثقافة مشتركة، يصبح التطوع واحداً من المسارات التي يبني بها المجتمع نفسه ومستقبله.

الحديث الشريف: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»، بما يرسخ قيمة التعاون والمساندة والمسؤولية تجاه الآخرين.

ويمنح التطوع صاحبه أيضاً فرصة لاكتساب الخبرة والمعرفة، واختبار المهارات، والعمل ضمن فريق، والتعرف إلى بيئات وأشخاص مختلفين، فالشاب الذي يشارك في نشاط مجتمعي يتعلم من التجربة، ويتحمل مسؤولية، ويختبر قدرته على التواصل والعمل مع الآخرين، ويرى أثر ما يقدمه بصورة مباشرة.

ولهذا تمثل المدرسة والجامعة والحي والمؤسسة الثقافية والجمعية مساحات أساسية لغرس هذه الثقافة، فالطفل الذي يتعلم أن حماية كتاب أو حديقة أو موقع تراثي جزء من مسؤوليته، والشاب الذي يشارك في عمل يخدم محيطه، يتشكل لديهما تدريباً وعيٌ أعمق بعلاقتهما بالمكان والناس.

وتحتاج استدامة هذه الثقافة إلى برامج واضحة، وتدريب ومتابعة

تحتاج المؤسسات إلى برامج واضحة تستقبل المتطوعين، وتحدد أدوارهم، وتتابع عملهم، وتقيم أثره، وتقدر ما يقدمونه.

وتبقى الأخلاق في قلب هذه الممارسة، فالتطوع علاقة إنسانية تقوم على الثقة والمسؤولية، وتزداد هذه المسؤولية حين يتصل العمل بالأطفال أو كبار السن أو الأشخاص في أوضاع أكثر هشاشة، فاحترام الكرامة، وحفظ الخصوصية، والأمانة، والعدل، والالتزام، كلها عناصر تمنح العمل قيمته وتبني ثقة الناس به.

وتظهر هذه الأخلاق في التفاصيل اليومية: في طريقة تقديم المساعدة، وفي اللغة المستخدمة، وفي التصوير والنشر، وفي التعامل مع المعلومات الشخصية. والمتطوع الذي يدخل مدرسة أو حياً أو مؤسسة أو مركزاً اجتماعياً يدخل في علاقة ثقة مع الناس، وهذه الثقة تضع أمامه مسؤولية فيما يقوله ويفعله وفي طريقة تعامله معهم.

وتجد هذه القيم معناها في

ثقافة الانتقاد

من التواصي بالحق إلى بناء الوعي الجمعي

أنه قال «رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي»، وهذا يدلُّ على أن النقد كان سلوكاً مؤسسياً في الدولة الراشدة، لا مجرد فعل فردي.

والمشكلة ليست في النقد ذاته، بل في نوعه؛ فالنقد البناء يقوم على المعرفة، ويهدف إلى الإصلاح، ويلتزم أخلاقيات الحوار، أما النقد الهدام، فينتقل من الهوى والجهل، ويعتمد الإثارة والتشهير والتشويه، ولا يقدم بديلاً ولا حلولاً؛ وغالباً ما يكون النقد الهدام ليس أكثر من انعكاس لضعف الثقة بالنفس، وعجز عن تقديم الحلول، أو عدم وجود الرؤية؛ لذلك كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «ما ناظرت أحداً فباليث إن ظهر الحق على لسانه أم لساني»، وهو نموذج راقٍ للنقد الذي ينشئ الحق؛ لا الانتصار للنفس، ومن هنا فإنَّ بناء ثقافة النقد البناء مسؤوليُّه النخبة، والمؤسسات الثقافية، والتعليمية، والإعلامية قبل غيرها؛ لأنها الجهة القادرة على صياغة الوعي الجمعي وتوجيهه.

ومن أخطر الآفات التي تصيب النقد أن يتحوّل إلى هجوم على الأشخاص، بدلاً من مناقشة الفكرة، أو السلوك، أو السياسة، وهذا ما نسميه «تشخيص المسألة»، أي اختزال القضية في شخص بعينه، وتحمله وحده مسؤولية الخلل، أو الانصراف عن أصل المسألة والانشغال بشخص الإنسان الذي ننتقده وسلوكه، وقد كان منهج النبي ﷺ في التوجيه تجنّب التشخيص، كما في قوله عند النقد: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا»، فكان ينقد الفعل لا الفاعل؛ وهذا المنهج النبوي يحفظ للنقد موضوعيته، ويمنع تحوّلَه إلى خصومة شخصية تعطل الإصلاح، وهذا ما نحتاجُ إليه اليوم.. أن ننتقد الأفكار لا الذوات،

يُعَدُّ التّقد من أرقى الوظائف العقلية التي تميّز الإنسان عن سائر الكائنات؛ إذ هو نتاجٌ للقدرة على التمييز والمقارنة والحكم، غير أنّ النقد في ثقافتنا المعاصرة يعاني أزمة مزدوجة: أزمة مفهوم، وأزمة ممارسة؛ فهو إمّا أن يُختزل في الشّيمة والتّشهير، وإمّا أن يُرفض بحجة أنه يهدّد الاستقرار ويشوّه الصورة، وكلا الموقفين خلل في الفهم، وجهل بسنن الإصلاح.

والحق أنّ النقد في تصوّر الإسلاميين ليس دخيلاً على ثقافتنا، بل هو من صميم بنائها العقدي والمنهجي؛ يقول الله تعالى: (وَالْعَصْرُ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [العصر: 1-3] والتواصي بالحق هو من أعلى درجات النقد البناء؛ لأنه ليس مجرد إخبار بالخطأ، بل دعوة إلى التمسك بالحق، واستهداء سبل الخير؛ مع الصبر على تبعاته، وهذا معنى قوله ﷺ: «الدَّيْنُ النَّصِيحَةُ» (أخرجه مسلم)، والنصيحة في اللغة: إرادة الخير للمنصوح له، وهي نقدٌ في جوهرها، لكنه نقد صادر عن محبة، لا عن عدوانية، وقد مارس الصحابة هذا التّقد مع النبي ﷺ، كما جاء في قصة «الْخُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ» رضي الله عنه في معركة «بدر» حين قال: «يا رسول الله، أُرأيت هذا المنزل، أَمَنْزَلاً أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَا نَعْدِلُ عَنْهُ أَمْ هُوَ الْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟»... فَقَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ النقد وأعاد ترتيب تموضع الجيش، وهذا النموذج يكشف أنّ النقد كان ممارسة يومية في المجتمع النبوي، وليس خطيئة، أو فعلاً محرّماً. بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول على المنبر: «مَنْ رَأَى فِي عَوْجَابِهَا فُلَيْقُومَهُ»، ومما أثار عنه



عمر عبده

باحث ومفكر إسلامي



**إن بناء مجتمع
ينشد النهضة
يقتضي إرساء
ثقافة الانتقاد
بمعناها النبيل؛
تواصياً بالحق،
وتناصحاً في الخفاء،
ونقداً موضوعياً،
ومبادرة بالحل**



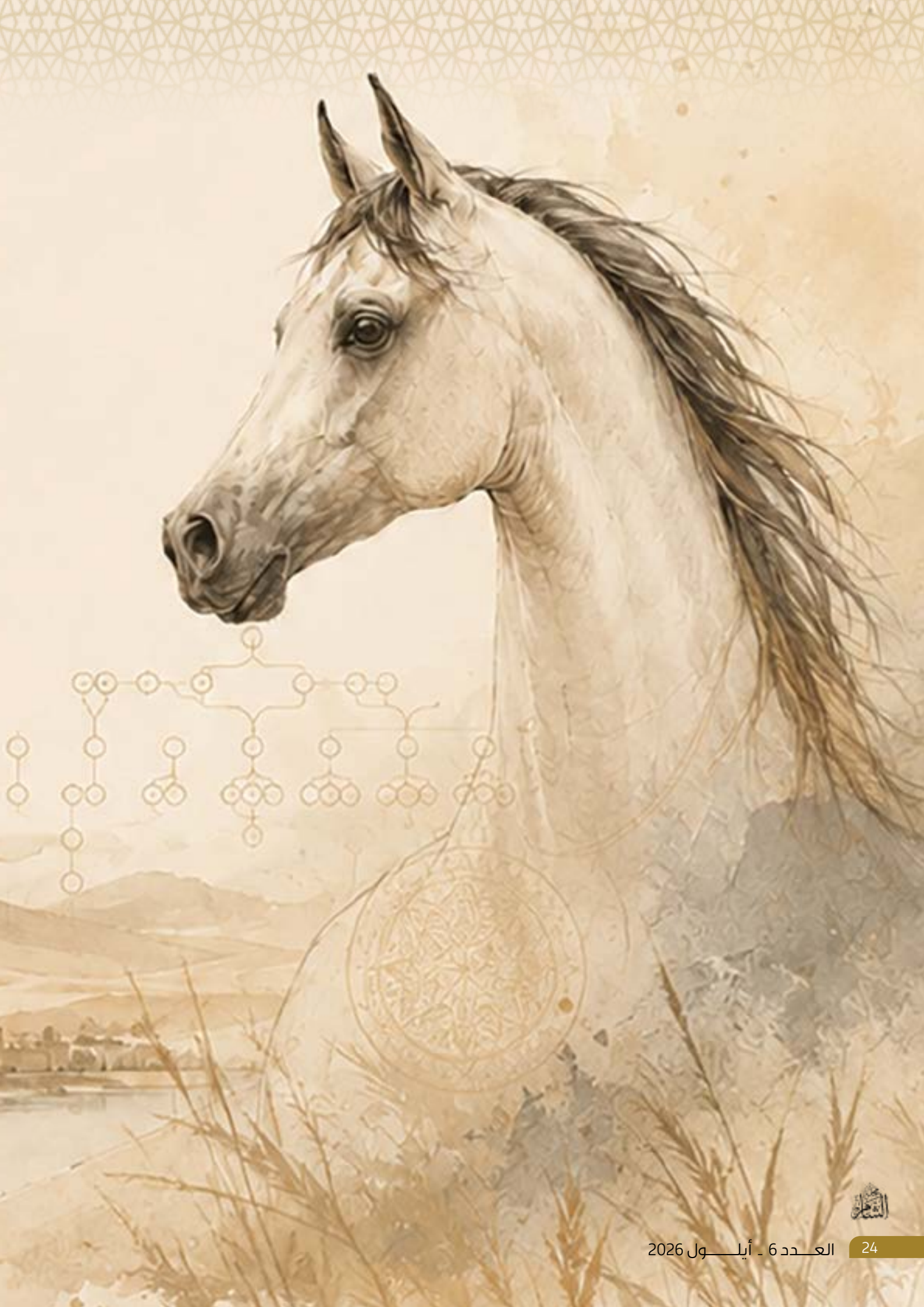


● حُسْنُ التوقيت، بأن يطرح النقد في الوقت، والمكان المناسبين.
● اقتراح الحل، بأن يقترن النقد ببديل عملي، واقعي قابل للتطبيق.
● سلامة القصد، بأن يكون الهدف الإصلاح؛ لا الشهرة أو الانتقام.

إن بناء مجتمع ينشد النهضة يقتضي إرساء ثقافة الانتقاد بمعناها النبيل؛ تواصياً بالحق، وتناصحاً في الخفاء، ونقداً موضوعياً، ومبادرة بالحل، فالنقد ليس نعمة على الوحدة الوطنية، ولا مهدداً لها؛ بل هو شرط لصحتها واستمرارها، ولن تتمكّن من بناء سوريا الجديدة، سوريا القانون؛ إلا إذا تعلّمنا أن نتنقد لنُصلح، ونختلف لنتراحم، ونعمل معاً لبناء وطنٍ يستحق التضحية.

يتحوّل إلى مبادرة، ومبادرة تتحوّل إلى إنجاز، وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: «إنما أنا رجل منكم، غير أن الله خصّني بولايتكم، فمن رأى منّي خيراً فليعنّي عليه، ومن رأى منّي شراً فليأخذ بناصيتي»، وهذا هو النقد المؤسسي في أرقى صورته.
ولكي يكون النقد ثقافة صحية، فلا بد من استيفاء بعض الشروط؛ أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:
● العلم، بأن يصدر النقد عن معرفة دقيقة لا عن جهل أو انطباع.
● العدل، بأن يُنصف الناقد قبل أن ينتقد، ويذكر الحسنات مع السيئات.
● الموضوعية، بأن ينقد الفكرة لا الشخص.
● الأدب، بأن يلتزم الرفق في العبارة، فلا يُسفه، أو يجرح.

والممارسات لا الأشخاص.
والنقد الذي لا يقدّم حلاً هو مجرد شكوى، بل وربما كان عبثاً على الوعي الجمعي، والواقع أنّ النقد الحقيقي هو ذاك الذي ينطلق من إرادة الإصلاح، ويقترح البديل العملي القابل للتحقيق، وقد كان هذا هو منهج العلماء والمصلحين عبر التاريخ؛ فابن تيمية لم يكتفِ بنقد البدع، بل قدّم منهجاً بديلاً من خلال العقيدة السليمة، وأسس لمدرسة فكرية متكاملة، والإمام الشاطبي لم يقتصر على نقد التفسيرات الظاهرية، بل أسس منهجاً مقاصدياً في فهم الشريعة من خلال كتابه الرائع «الموافقات»، وابن خلدون لم يكتفِ بنقد التاريخ، بل وضع مقدمة غيرت علم التاريخ والاجتماع. وهذا ما نحتاج إليه اليوم؛ نقدٌ



الخيال العربي السوري

أصالة النسب ورفيق التاريخ

ارتبط الخيل العربي السوري بحياة الإنسان السوري وذاكرته، ولا سيما في بادية الشام والجزيرة ومنطقة الفرات، حيث رافقه في الترحال والاستقرار، وحماية الديار، ونقل الرسائل، ومرافقة القوافل، وخوض المعارك. كما حضر في الصيد والسباقات والاحتفالات الشعبية، حتى غدا شريكاً في صنع التاريخ، ورمزاً للشجاعة والكرامة والوفاء، وحاضراً في الشعر والسير والأمثال والحكايات المتوارثة.

وفي بيئة البادية القاسية، اكتسب الخيل العربي السوري قدرته العالية على التحمل وسرعته وذكاءه وألفته مع الإنسان. ويتميز بجسم متناسق، ورأس دقيق، وعينين واسعتين، وعنق مقوّس، وذيل مرتفع أثناء الحركة، وهي صفات جعلته موضع تقدير المربيين والفرسان.

ولم تكن قيمة الفرس تُقاس بجمالها وحده، وإنما بأصلها ونسبها وصفاتها وسمعتها بين المربيين. لذلك عُرفت الخيول بأرسانها، أي خطوط نسبها، مثل الكحيلان والصقلاوي والحمداني، وكان المربي السوري يحفظ هذه الأنساب شفهيّاً قبل انتقالها إلى السجلات الرسمية وفحوص الحمض النووي.

كما حُفظت أخبار الخيول إلى جانب أخبار فرسانها في المجالس والقصائد والأغاني. وبذلك ظلّ الخيل جزءاً من صورة المكان السوري، يحمل في حضوره آثار البادية وذاكرة العائلات التي صانت سلالاته، ونقلت خبرتها جيلاً بعد جيل.

وتعتزم وزارة الثقافة، من خلال هيئة الموسوعة العربية، إعداد موسوعة متخصصة بالخيول السورية، تؤثّق تاريخها وأصولها وأنسابها وخصائصها وحضورها في الثقافة والذاكرة السورية.





قضية وآراء

يناقش باب «قضية وآراء» دور المثقف السوري ومسؤوليته في سياق إعادة بناء المجتمع والدولة، من خلال أصوات متعددة تقارب علاقته بالدولة والمجتمع والإعلام والأجيال الجديدة. وتطرح المواد أسئلة الحضور والتأثير والفاعلية، وحدود الدور النقدي للمثقف، وقدرته على الوصول إلى الناس والمشاركة في بناء الوعي وصياغة المجال الثقافي السوري اليوم.



المثقف والدولة في حقبة إعادة البناء

الحاكم ورفعته فوق مستوى النقد، والشعور المزمّن بالنقص إزاء الشعوب المتقدمة، والعزوف عن الإنتاج العلمي والفكري.

وأحدثت لحظة سقوط النظام الشمولي (8 ديسمبر 2024) حالة من الصدمة المجتمعية التي سرعان ما كشفت عن هشاشة المشهد الثقافي السوري، حيث بدأ المجتمع ممزقاً بين نخب تباينت مواقفها في حقبة الثورة (2011-2024)، وبين أجيال شابة منفضة عن الثقافة السورية ببعديها: الفكري والمجتمعي.

وإضافة إلى الكتابات التي تناولت نقد المضمون الفكري والثقافي للنخب، كوظيفة المثقف، وأدواره النقدية، والأفكار التي يتوجب عليها طرحها، تبرز الضرورة لإلقاء الضوء على مظاهر أخرى في نقد الحراك الثقافي، ومن أبرزها، انقسام النخب الثقافية عن الأجيال السورية الشابة التي تندفع بعشوائية في شتى الاتجاهات لنيل استحقاقات ما بعد التخلص من نير الحكم الشمولي، وما يواكب ذلك من بروز ظاهرتي الفوضى والعنف المصاحبتين للتغيير، مقابل غياب الحركة الفكرية القادرة على ترشيد الحراك الثقافي وتوجيهه نحو التشكل الإيجابي، بحيث بات من الواضح أن محض سقوط نظام الاستبداد لم يكن كفيلاً بإصلاح تشوهات المشهد الثقافي.

وفي ظل هذه التحولات؛ تتنامى الحاجة إلى تبني المؤسسات المعنية بقطاع الثقافة مشروعاً إصلاحياً يساهم في إعادة التشكل الوطني عبر التقدم بأطروحات جادة تعالج تحديات الهوية،

لا تقتصر الثقافة في سياقها المجتمعي على مستوى المعرفة أو على حيازة الشهادات العلمية، بل تمتد لتشمل جوانب عملية تتمثل في توظيف المعرفة لنقد الواقع والمساهمة في النهوض بالشأن العام وتبني مواقف أخلاقية تُجَاه القضايا المصيرية للأمة، كمسائل الحرية والعدالة والهوية الوطنية.

ويصعب الحديث عن قطاع الثقافة في تاريخ سوريا الحديث دون التنبيه إلى الخلط الذي يقع بين «السلطة» من جهة، وبين «الدولة» التي تضم بمفهومها الشامل: الأرض، والشعب، ومؤسسات الحكم، والسيادة، وبهذا المفهوم فإن المثقف هو مكون من مكونات المجتمع، والحركة الثقافية هي عنصر أساس في بناء الدولة وتحقيق النهضة وترميم المجتمعات المفككة.

ويأتي ذلك الخلط في التعريف نتيجة توتر علاقة المثقف بالسلطة في الحقبة الماضية، وما أحدثته الاستبداد من إقصاء للحركة الثقافية عن المجتمع في التاريخ المعاصر؛ فعلى إثر حقبة وجيزة من الاستقلال، لا تتجاوز سبعة عشر عاماً (1946-1963)؛ عمدت سلطة البعث (1963-2024) إلى وأد الحراك الثقافي بشتى أنماطه، وتبنت حركة «تدجين ثقافي» أفضت إلى ظهور طبقة طفيلية طغت على الفضاء النخبوي، فيما خضع معارضوها لشتى أصناف القمع الذي شكّل مجموعة من العُقد النفسية لدى جيل بأكمله، وتحولت هذه العقد بمرور الزمن إلى مفاهيم تحظى بالقبول على الضّعف الفردية والجماعية، كتقديس



د . بشير زين العابدين

باحث وأكاديمي

في التاريخ السياسي العربي

في ظل بروز
ظاهرة «الترندات»
ومنشئها
من «مؤثرين»
دأبهم تسطيح
الأفكار، لا تبدو
النخب المثقفة
قادرة على مواكبة
الحراك المليونى





على المنظومات المجتمعية التقليدية، وذلك كنتيجة حتمية لانتقال البشرية إلى حقبة «الثورة الرقمية» وما جلبته معها من متغيرات جذرية في سلوك جيلي ما بعد الألفية نتيجة النمو السريع في الإنترنت، والمحتويات التي تُنقل عبر الهواتف النقالة، وطفرة التبادل المعلوماتي عبر مواقع الشبكات الاجتماعية، وغيرها من التقنيات المتطورة التي جلبت معها تهديدات بالغة الخطورة في محاولات اختراق الفضاء الإلكتروني وشن حروب «الجيل الخامس» التي تستهدف عقول الشباب وإضعاف هُويّاتهم الوطنية وولاءاتهم، وتحط من منظومات القيم والمُثل لديهم، وتعزز مظاهر الانقسام المجتمعي، وتحد من أدوار النخب في الترشيد المجتمعي.

ومن خلال استشراف سلوك هذا الجيل، يمكن القول: إن أبناءه ينزعون إلى كسر القوالب التقليدية في نظرتهم إلى التعليم والعمل ونمط الحياة نتيجة

مداركنا بالأجيال الشابة في سوريا، وخاصة فيما يتعلق بنزوعها نحو التمرد

**التحدي الأكبر بالنسبة
إلى المثقف السوري
اليوم لا يقتصر على
مضمون الخطاب
فحسب؛ بل يمتد
ليشمل حيافة مهارات
الوصول إلى أكبر جيل
تعرفه سوريا في
تاريخها المدون**

وصياغة نمط الدولة البديلة، وسبل إعادة الإعمار السياسي والاقتصادي والثقافي والمجتمعي على أنقاض المنظومة البعثية البائدة.

وإضافة إلى تحديات إعادة صياغة المضمون الفكري كرصيد للأمة في حقبة ما بعد النزاع؛ يكمن التحدي الأكبر في حيافة أدوات الوصول إلى الملايين من أجيال الألفية الثالثة عبر ساحاتهم الرقمية وآليات التواصل الشبكي، وخاصة أنهم باتوا يمثلون تياراً جارفاً يوظف التكنولوجيا لتعزيز التواصل الجماعي والحشد والتأثير بصورة تفوق قدرات مؤسسات الدولة. ولا تؤمن غالبية تلك الفئة بالمرجعيات الأيديولوجية الكلاسيكية التي سادت في الحقبة الماضية، بل يعتمدون على منظومات شبكية طُوّرت في العالم الافتراضي بحثاً عن استقلالية الاختيار وحرية إبداء الرأي واتخاذ القرار.

ويجدر التحذير من مخاطر ضعف



توفر الكم الهائل من المعلومات والمصادر التي لم تكن متاحة لأي جيل سابق، وينزعون نحو المساهمة في الشأن العام من خلال معايير جديدة تختلف جذرياً عن المفاهيم التي سادت لدى الأجيال السابقة.

وبناء على ذلك فإن التحدي الأكبر بالنسبة إلى المثقف السوري اليوم لا يقتصر على مضمون الخطاب فحسب؛ بل يمتد ليشمل حيازة مهارات الوصول إلى أكبر جيل تعرفه سوريا في تاريخها المدون، والذي لم يعرف منذ تشكل وعيه الثقافي سوى الأزمات.

وفي ظل بروز ظاهرة «الترنندات» ومنشئها من «مؤثرين» دأبهم تسطيح الأفكار؛ لا تبدو النخب المثقفة قادرة على مواكبة الحراك المليونى؛ إذ ينتمي معظم «المفكرين» إلى تيارات تشكلت بُناها الفكرية في قوالب جامدة خلال القرن الماضي، وتبدو عاجزة عن اللحاق بركب التطور وحيازة أدوات الوصول إلى المجتمعات الفتية، ومخاطبة قضاياها المصيرية، كتحديد مصير الهوية الوطنية في ظل الانزياحات السكانية الكبرى الناتجة عن الهجرة واللجوء والنزوح، وتغير أنماط العلاقات المجتمعية، ونُدرة الموارد بالنسبة إلى عدد السكان، وآليات المشاركة السياسية في الحقبة الرقمية، ما يدفعنا لتأكيد ضرورة تبني قطاع الثقافة مشروعاً وطنياً شاملاً يسهم في ردم «الفجوة» التي أحدثتها الثورة الرقمية، والمتمثلة في ثلاثة ظواهر رئيسة هي:

1 - الفجوة المعرفية: الماثلة في اتساع الهوة بين من يمكنهم العثور على المعلومات وتكوينها وتداولها ونشرها، وبين العاجزين عن القيام بكل ذلك.

2 - الفجوة الإلكترونية: المرتبطة بمفهوم «الرقمنة»، واتساع الفارق بين الذين بمقدورهم استخدام الإنترنت بسبب امتلاكهم المهارات اللازمة، وبين الذين لا يستطيعون استخدامه نتيجة الفقر، والفجوة اللغوية، وتفشي الأمية، وتدني المخرجات التعليمية.

3 - الفجوة بين الأجيال: حيث شهدت سوريا في مطلع القرن العشرين ظهور جيل تميز بالحيوية

والفاعلية، وكان له دور أساسي في صيانة الهوية العربية ومقاومة الاستعمار وتحقيق الاستقلال، إلا أن استحواذ «البعث» وقمعه للحريات العامة أفرز حالة من الاستجابة الجماعية للقمع، إلى درجة إطلاق مسمى «الجيل الصامت» على جيل الفترة الممتدة ما بين ستينيات القرن الماضي وثمانينياته، فيما شهدت حقبة الثورة (2011-2024) ظهور جيل جديد (تقدر بعض الإحصائيات نسبته بنحو 70 % من المجتمع السوري)، يصنف أبنائه ضمن الفئات الأكثر معاناة من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، ويقع الملايين منهم ضمن ضحايا التهجير القسري

والتطهير العرقي والنزوح واللجوء. ولا شك في أن استيعاب النخب الثقافية لتلك التحولات وما تتطلبه من جهد ضخم لدأب تلك الفجوات؛ يمثل حجر الأساس لمشروع وطني شامل يُكسب النخب الثقافية مهارات الخطاب الفاعل ويردم الفجوة بينها وبين الأجيال الشابة المتعطشة للإرشاد والتوجيه، وخاصة فيما يتعلق بمسألة صيانة الهوية الوطنية الجامعة واستيعاب الهويات الفرعية، ومعالجة التعقيدات المجتمعية الناشئة عن الصراعات الدينية، والمذهبية، والعنف الإثني والطائفي، والتصدي لمعضلة تضالّ مساحات الحوار بين مختلف مكونات المجتمع.

دور المثقف في سوريا الجديدة بين الانصياع والتمرد

والمهرجانات والجامعات والمراكز التي لم تكن جميعها -بالطبع- متشابهة في درجة قربها من السلطة، لكنها كانت تعمل داخل الحدود التي رسمتها الدولة الأمنية.

منح حكم الأسد أجهزته صلاحيات واسعة للرقابة على الصحف والمجلات والكتب والمطبوعات، وامتدت الرقابة لاحقاً إلى الإنترنت والمدونات والمواقع الإلكترونية، فيما تعرض كتاب ومدونون للمحاكمة بسبب آرائهم. والصحافة المستقلة كانت قد حظرت عملياً بعد وصول البعث إلى السلطة عام 1963، حتى ذاك الانفتاح المحدود الذي رافق بداية عهد بشار الأسد انتهى سريعاً إلى إعادة إحكام السيطرة.

ولذلك فإن السؤال بعد سقوط الأسد لا ينبغي أن يكون: «من كان مع النظام ومن كان ضده؟» فحسب، بل أيضاً «كم بقي من النظام داخل اللغة الثقافية نفسها؟»

قد يكون المرء معارضاً للاستبداد سياسياً، لكنه يحمل معه، من حيث لا يدري، شيئاً من أدواته، يخون المختلف، ويضيق بالنقد، ويخلط بين الدولة والسلطة، وربما كان احتكار الحقيقة هو أثقل ما وراثناه من ذلك الزمن.

فالصوت الأعلى في قطاعات مهمة من الوسط الثقافي المعارض خلال سنوات الثورة كان صوتاً مدنياً وحداثياً، لكنه لم يقطع بالضرورة مع كل الثقافة التي نشأ في ظلها.. إذ إنه رفض النظام سياسياً، لكنه احتفظ أحياناً ببعض مقولاته عن المجتمع والدين والهوية والريف والمدينة والطوائف والأقليات والأكثرية، كما

بين نارين؟ هكذا يجد بعض المثقفين السوريين أنفسهم اليوم، في لحظة اختيار لم تكن بالخسبان، فقد حضروا عدّتهم طوال السنوات الماضية لاحتمالات كثيرة، لكن الواقع اختار في النهاية احتمالاً لم يكن أكثرهم قد أعدّ له أجوبةً مكتملة: ماذا لو انتصرت الثورة؟

كان السؤال يُطرح منذ عام 2011، وكانت الإجابة الأسهل: إذا انتصرت فسوف نقيم دولةً تُعلي من شأن الثقافة والحريات، وتعيد للمثقف مكانته بعد عقود من الرقابة والخوف، لكن السؤال الأصعب ظل مؤجلاً: أي ثقافة؟ وأي مثقف؟

لم يجر نقاش عميق بما يكفي عن هذه الأسئلة، فقد كان من المسلم به لدى قطاعات واسعة أن الهوية الثقافية السورية أمر محسوم سلفاً، وأن سقوط الاستبداد السياسي سيؤدي تلقائياً إلى ولادة ثقافة جديدة، غير أن التجارب التاريخية تقول شيئاً مختلفاً، فالنظام قد يسقط في يوم، كما حدث في سوريا، لكن ثقافته لا تسقط معه، فقد تبقى سنوات، وربما عقوداً، في المؤسسات وفي الناس، وفي طريقتهم في النظر إلى أنفسهم وإلى الآخرين.

النظام الذي يسقط والنظام الذي يبقى

لم يكن نظام الأسد جهازاً عسكرياً وأمنياً فحسب.. لقد صنع، خلال عقود، مجالاً عاماً له لغته ومفاهيمه وطرائق الصعود داخله، وأقام شبكة من الصحف والاتحادات والنقابات والمؤسسات الثقافية ودور النشر



إبراهيم الجبين
كاتب وإعلامي

موقفك المستقل
هو أن تكون
المسافة التي
تفصلك عن السلطة
هي المسافة
نفسها التي تحتاج
إليها لكي تراها
بوضوح

احتفظ أحياناً بصورة المثقف بوصفه وصياً على المجتمع لا واحداً منه.

لقد خرج معظم السوريين المعاصرين، موالين ومعارضين، من المدرسة الفكرية والاجتماعية نفسها بمعناها الواسع، مدرسة سوريا التي تشكلت خلال النصف الثاني من القرن العشرين. ومن هنا فإن سقوط السلطة لا يعني تلقائياً سقوط الأفكار التي أنتجتها أو التي أنتجها خصومها في مواجهتها.

حتى المعارضة السورية نفسها لم تنشأ في فراغ؛ فقد تشكلت تاريخياً من روافد يسارية وقومية وإسلامية وليبرالية ومدنية، وأظهرت مرحلة ربيع دمشق، ثم إعلان دمشق، مقدار الدور الذي أدّاه المثقفون والمهنيون والناشطون في صياغة المجال السياسي المعارض.

ومثلت المنتديات والمبادرات التي أطلقها المثقفون والمهنيون أحد المصدرين الرئيسيين اللذين خرجت منهما المعارضة المنظمة قبيل ثورة 2011.

وهذا يعني أن المثقف السوري لم يكن يوماً مجرد مراقب لما يحدث، بل كان شريكاً في إنتاج الأفكار التي تحولت لاحقاً إلى سياسة.

ما بعد الاحتمالات

كان هناك، في المقابل، احتمال آخر وضعه بعض المثقفين السوريين على الطاولة طوال السنوات السابقة.. أن يبقى الأسد.

سمع السوريون ذلك مراراً في صيغ مختلفة مثل الواقعية السياسية، والأمر الواقع، واستحالة إسقاط النظام، وضرورة التسوية معه، والخوف من البديل، وأولوية الاستقرار، أو انتظار تسوية دولية تبقي رأس النظام أو جزءاً من بنيته.

لكن التاريخ اختار طريقاً آخر، إذ سقط الأسد، وانتهت المنظومة السياسية والعسكرية التي حكمت البلاد، بينما بقيت أسئلة الثقافة معلقة.

وفجأة لم يعد السؤال افتراضياً، ماذا نفعل الآن؟ لقد فات أوان الاحتمالات، وصار الواقع الجديد

موجوداً، بكل ما فيه من فرص ومخاطر ونواقص وتناقضات وأصبحت الهوية الثقافية السورية أمام امتحان تاريخي حقيقي.

والسؤال الآن هو ما إذا كان التغيير سيقصر على أسماء المسؤولين وصور الرؤساء والشعارات، فتغيير مثقفي سلطة بمثقفي سلطة آخرين ليس تحولاً ثقافياً، كما أن التغاضي عن تواطؤ طويل مع الاستبداد لن يصنع ثقافة جديدة. والسؤال الأصعب الذي ينبغي أن يسأله المثقفون لأنفسهم قبل أن يسألوه للدولة هو: ماذا بقي فينا من الماضي الذي نزعم أننا تجاوزناه؟

يمكن بشيء من الاختزال الضروري، ملاحظة ثلاثة اتجاهات بين المثقفين السوريين في التعامل مع الواقع الجديد. شطر اختار مواصلة خطابه كما لو أن الثامن من كانون الأول لم يقع، وكأن سوريا لم تدخل طوراً سياسياً وتاريخياً مختلفاً، وفي بعض الحالات تحولت الريبة في الدولة الجديدة إلى قطيعة مع المجال السوري الجديد نفسه، وإلى امتناع

عن المشاركة في أي نشاط رسمي أو شبه رسمي، بل وأحياناً إلى النظر إلى كل انخراط في مؤسسة ثقافية سورية باعتباره تزكيةً سياسيةً كاملة للسلطة.

والمشكلة هنا ليست في المعارضة، فحق المثقف في معارضة السلطة الجديدة لا يقل عن حقه في معارضة القديمة، بل إن استقلال الثقافة يفقد معناه إن أصبح النقد ممنوعاً باسم «المرحلة» أو «المصلحة الوطنية».

يبدأ ذلك حين تتحول المعارضة من نقد السلطة إلى مقاطعة المجتمع، ومن رفض سياسات الحكومة إلى رفض كل مساحة ثقافية تنشأ داخل البلاد.

وهناك شطرٌ ثانٍ رأى في الفراغ الذي خلفه سقوط البنية القديمة فرصة للصعود فاندفع بعض أفرادهِ إلى المواقع الجديدة محاولين احتلال الأماكن التي كان يشغلها مثقفو العهد السابق، وكأن الثورة ليست فرصة لتغيير قواعد اللعبة، بل فرصة لتغيير اللاعبين فحسب.

وهنا يكمن خطر لا يقل عن خطر المقاطعة، فإذا كان مثقف الأُمس يطلب رضا المسؤول الأمني أو الحزبي كي ينشر أو يسافر أو يترأس مؤسسة، فما الذي تغير إن أصبح مثقف اليوم ينتظر رضا المسؤول الجديد ليحصل على المنبر ذاته؟ والثورة التي تستبدل أسماء المنتفعين ولا تتغير العلاقة بين الثقافة والسلطة لا تكون قد أنجزت تحولاً ثقافياً.

هناك آخرون وجدوا أن التحول الثقافي الذي تعيشه سوريا مختبرٌ واسع، سيمضي بهم دونهم، فلماذا لا يكونون شركاء فيه؟ لا بوصفهم ملحقين بالسلطة ولا بوصفهم طالبي حصّة منها، بل لأن التأثير في هذا التحول مسؤولية عامة.

فلماذا ينبغي أن تكون للمثقف «حصّة» أصلاً؟ ومن قال إن تأثيره يقاس بمنصب أو مجلس أو لجنة أو دعوة رسمية؟ الثقافة ليست منصباً وحدها، كما أن السياسة ليست القصر الجمهوري وحده.

وقد شهدت سوريا خلال المرحلة

تكمن المسؤولية التاريخية للمثقف السوري، في أن يساعد السوري على معرفة ذاته والآخر، وأن يحرره من الأساطير التي صنعتها السلطة البائدة، وربما من أساطير صنعتها المعارضة أيضاً





أنطونيو غرامشي

الجديدة مؤشرات ثقافية تستحق القراءة لا الاحتفاء المجرد ولا الرفض المسبق، ففي معرض دمشق الدولي للكتاب عام 2026، ظهرت إلى العلن كتب وتيارات فكرية كانت محظورة أو مهمشة سابقاً، إلى جانب حضور للكتاب الكردي ولتيارات فكرية متعارضة. وجمع المعرض في فضاءه كتباً إسلامية كانت محظورة سابقاً مع مؤلفات نقدية للبعث وأدب كردي، في صورة تعكس التغير العميق الذي أصاب المجال الثقافي السوري.

ووصف وزير الثقافة محمد ياسين الصالح المعرض، حينها، بأنه انتقال نحو فضاء ثقافي أوسع في حرية التعبير وتعدد الأفكار، وهذه، بطبيعة الحال، تصريحات وممارسات ينبغي أن تخضع لاختبار الزمن والتطبيق، لا أن تتحول إلى مسلمات لمجرد صدورها عن الحكومة.

هنا تحديداً يحضر السؤال عن دور المثقف، فليس مطلوباً منه أن يصبح موظف علاقات عامة لدى الدولة كي يشجع كل خطوة إيجابية، ولا أن ينكر حدوثها كي يحافظ على صفته المعارضة.

المثقف المستقل يستطيع أن يقول للدولة: أحسنت هنا، وأخطأت هناك. وهذه الجملة البسيطة هي ربما ما حُرّم منه السوريون طوال عقود، فاستقلالية المثقف لا تعني أن يقف دائماً ضد الدولة، كما أن الوطنية لا تعني أن يقف دائماً معها.. موقفك المستقل هو أن تكون المسافة التي تفصلك عن السلطة هي المسافة نفسها التي تحتاج إليها لكي تراها بوضوح. وقد طاب لكثيرين في كافة الأزمنة العربية الحديثة وصف المثقف الفعال بالمثقف «العضوي»، في استعارة من أنطونيو غرامشي غالباً ما استعملت سورياً بمعنى يختلف عن أصلها، فالمثقف العضوي عند غرامشي ليس ببساطة المثقف الشجاع ولا المثقف الملتزم بقضايا الناس، ولا المعارض الدائم للسلطة، فمفهومه أكثر تركيباً من ذلك.

وغرامشي، الذي استعزنا منه هذا الوصف حتى كدنا نفرغه من معناه، لم يكن يقصد بالمثقف العضوي

إخفاق السياسيين وحدهم.. لقد كان أيضاً إخفاق الأيديولوجيات المغلقة، ومن الظلم للتجربة السورية أن نستثني من المراجعة تياراً لأنه كان في المعارضة، فالبعث أوصل فكرته إلى نهايتها المعروفة، لكن خصومه لم يقدموا دائماً أجوبة أكثر إقناعاً.

واليسار السوري والقوميون على اختلافهم، والإسلاميون بمدارسهم، جميعهم باتوا اليوم أمام سوريا لم تعد تقبل أن يشرحها كتاب واحد أو حزب واحد أو عقيدة واحدة.

سوريا الجديدة، إن أرادت بالفعل أن تكون جديدة، فهي تحتاج إلى الخروج من فكرة الحقيقة الواحدة قبل أي شيء آخر، وهنا تصبح التعددية الثقافية أعمق من إقامة مهرجان يشارك فيه شاعر إسلامي وروائي علماني وموسيقي كردي.

التعددية هي الاعتراف بحق الآخر في إنتاج تعريفه لسوريا أيضاً، وهي فكرة لافتة يكرّر وزير الثقافة السوري

ذلك المثقف الذي يرفع صوته أكثر من غيره، بل كان يتحدث عن مثقف ينشأ داخل حركة المجتمع، ويشارك في تنظيم وعيها وصناعة معناها؛ أي إنه ليس متفرباً على التاريخ ولا خطيباً يعلّق عليه بعد وقوعه.

ومن هنا يمكن إعادة طرح السؤال السوري مجدداً، هل نحتاج إلى مثقف يصف التحول، أم إلى مثقف يشارك في صناعة شروطه الثقافية؟ المشاركة هنا لا تعني الانصياع، بل لعل المهمة الأصعب للمثقف السوري اليوم هي أن يرفض الخيار الثنائي الذي يوضع أمامه: إما أن تكون مع السلطة في كل شيء وإما أن تقف خارج التجربة كلها، فالثقافة الحقيقية تبدأ في المساحة الواقعة بين هذين الطرفين.

فشل الأيديولوجيات

صنعت الثورة السورية معادلات جديدة، ولم يكن إخفاق الماضي



إلى إذن كي يختلف، ولا إلى واسطة كي يظهر، ولا إلى حزب كي يُسمع، ولا إلى طائفة كي يشعر بالأمان. وبرز هنا توجه الدولة بشأن إدارة الاختلاف، فالدولة التي تسمح فقط لمن يمدحها بالكلام ليست دولة متسامحة؛ لأنّ الاختبار يبدأ عندما يتكلم من ينتقدها، والمثقف الذي يطالب بحرية الرأي لمن يشبهه فقط ليس مثقفاً حراً؛ فالامتحان يبدأ عندما يدافع عن حق خصمه في الكلام. سوف تعيد سوريا بناء اقتصادها ومدنها ومؤسساتها، مهما طال الطريق، لكن الخراب الثقافي أكثر تعقيداً، والحجر يمكن إعادته إلى مكانه، أمّا الإنسان الذي عاش نصف قرن في ظل الخوف والرقابة والأيدولوجيا والشك في الآخر فلا يمكن إعادة بنائه بمرسوم. وهنا تكمن المسؤولية التاريخية للمثقف السوري؛ أن يساعد السوريّ على معرفة ذاته والآخر، وأن يحرره من الأساطير التي صنعتها السلطة البائدة، وربما من أساطير صنعتها المعارضة أيضاً، وأن يحفظ ذاكرة الضحايا دون أن يحولها إلى وقود لكرهية جديدة. أمّا الدولة، فعلى المثقف أن يذكرها كلما اقتربت من غواية السلطة بأن الثورة التي دفعت كل ذلك الثمن لم تقع كي تنتقل سوريا من يقين مغلق إلى يقين مغلق آخر.

وينبغي ألا ننسى أن الأفكار التي حكمت سوريا لم تهبط عليها بمركبات فضائية، فحزب البعث نفسه بدأ مشروعاً فكرياً وسياسياً قبل أن يتحول إلى جهاز دولة، والأمر ذاته، بأشكال مختلفة، ينطبق على تيارات سياسية أخرى، الأفكار تبدأ في كتاب ومقالة ومقهى ومنتدى وجامعة، ثم قد تصبح حزباً، والحزب قد يصبح دولة، والدولة قد تصبح سجنًا. لذلك لا يمكن اعتبار الثقافة ترفاً يأتي بعد الكهرباء والإعمار والاقتصاد. لهذا كله، لا أعتقد أن مهمة المثقف السوري في المرحلة الجديدة هي الانصياع، كما لا أعتقد أنها التمرد بوصفه غاية في ذاته، ففي الحالتين يفقد حريته، فوظيفته أن يحتفظ بحقه في تغيير رأيه حين تتغير الوقائع، وبحقه في الاعتراض حين يرى الخطأ وبحقه في المشاركة حين يرى إمكانية للبناء. ليس مطلوباً منه أن يمنح صكّ براءة لأي سلطة، قديمة كانت أم جديدة، وليس مطلوباً منه أيضاً أن يمنح نفسه صكّ براءة، فسوريا لا تحتاج إلى مراجعة أجهزة الدولة فحسب، بل تحتاج إلى مراجعة الأفكار كذلك. والفرصة المتاحة أمام المثقفين السوريين اليوم نادرة: أن يساعدوا في بناء مجال ثقافي لا يحتاج فيه الكاتب

التعبير عنها بعبارة «تعريف السوريين ببعضهم» حتى بدت سياسة رئيسية للدولة أكثر منها مجرد فكرة متداولة. فالعدالة الانتقالية ليست محكمة فحسب، بل ثقافة وذاكرة أيضاً، من يكتب قصة المعتقل ويحفظ ذاكرة المفقود؟ ومن يمنع هذه الذاكرة نفسها من أن تتحول إلى ثأر؟ هنا يدخل المثقف في ضلّب المسألة؛ لأن شرح الفرق بين المحاسبة والانتقام، وبين المسؤولية الفردية والإدانة الجماعية، ليس مهمة قضائية وحدها، إنها مهمات ثقافية بامتياز. ومن الثقافي يمكن أن يبدأ السلم الاجتماعي الحقيقي، فليس السلم الأهلي صورة جماعية لشيوخ الطوائف وهم يتعانقون أمام الكاميرات، ولا بياناً يعلن أن «السوريين إخوة» ثم يعود كل طرف إلى سرديته المغلقة عن الطرف الآخر. السلم يبدأ بالمعرفة؛ بأن يعرف السوري من هو جاره، وماذا يخاف، وكيف يروي ما حدث له، فلا مواطنة يمكن أن تقوم فيما تعيش الجماعات السورية بعضها مع بعض من خلال أساطير متوارثة عن الغزو والسبي والإبادة والثأر. وقبل أن يصبح قتل الآخر ممكناً، ينبغي أولاً أن يتحول في المخيلة إلى كائن يجوز قتله، وهذه العملية تبدأ في الثقافة قبل أن تصل إلى الثكنة.

المثقف وصور حضوره

ولشدة ما يكون ذلك منه، يحسبه
الظان أنه عضال الفكر، والحقيقة أنه
باحث ولا يبغي إلا الحقيقة والوضوح.
ولذا، إذا لم يرفع المثقف للسؤال
نصباً، ويذهب به مَدْخَلاً لكل القضايا:
في السياسة، والاجتماع، والاقتصاد،
والعلم، والمعرفة، فإنه يخون ما يُسَرُّ
له في أصل خلقه وأصل كينونته
الثقافية.

وأخيراً ، فإن المثقف المكسور
السؤال هو مثقف مهزوم الوجود.

3- المثقف والمثقف المضاد:

الثقافة بناء.

يقول بوان كاريه في كتابه العلم
والفرضية: «إننا نبني البيت باستخدام
الحجارة، ونبني العلم باستخدام
المعلومات، ولكن البيت ليس تكديساً
للحجارة، كما أن العلم ليس تكديساً
للمعلومات». وإن هذا ليعني أن البيت
بناء، وأن العلم بناء.

ومعنى «بناء» هو إقامة العلاقات
بين المواد المستخدمة في بناء البيت
وبناء العلم على حد سواء.
والثقافة هي بناء أيضاً، ولها أنساق
وأنظمة وقوانين تصنعها لها الحضارات
التي تنتمي إليها. فإن لم تكن كذلك،
وكانت تكديساً من غير بناء ونسق
مصنوع حضارياً، فإنه تكون مضاربات
ذهنية وعبث فكري مضاد للثقافة.
ومن هنا، فقد مثلت الثقافة العربية
بعد الإسلام نسقاً يتخلق المسلم في
رحمه، ويخرج به من حريم البهيمية
والعدمية إلى حريم الوجود والإنسانية.
ألا وإن لكل إنسان من ثقافته نصيباً،
ومن تخلى عن نصيبه منها، فقد صورته
وصار إلى الهُجْنة أقرب.

سأقف في هذه الورقات وقفاتٍ
ثلاثاً: مع نفسي مثقفاً، ومع المثقف
كائناً إشكالياً، ومع المثقف مضاداً
للثقافة.

1- «أنا» والثقافة

يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول
عن رعيته» (الحديث). والمثقف راع
ومسؤول عن أقواله وأقواله هي رعيته
وشهود عليه فيما يقول. فإن أحسن
استعمالها، أحسن لنفسه، وإن أساء
فلها.

ألا وإن خير الكلام، كما علمنا
رسول الله ، كلمة حق أمام سلطان
جائر. وهذا التزام، وبناء ثقافي خلق
الإسلام نسقه ونظام، وأوجد رجمه
وجعل خلقنا فيه.
وبهذا فإن كل مسلم مولود وعمله
مشدود إلى نسقه الثقافي الذي نشأ
فيه.

ونحن، أنا، هو، بوصفنا كائنات
ثقافية، لا يمكننا أن نخرج عن نسقنا
الثقافي. ولذا، فإننا فيما نكون صوراً
لثقافة إسلامية المبنى والمعنى، وأي
خلل فيها هو تحويل إلى مسخ، هجين،
لا يملك أن يكون له في الوجود حضور
يميز ويدل عليه بين الثقافات.

2- المثقف كائن إشكالي:

إنه إشكالي لأنه متعدد النظر
والفهم والرؤية من وجهة، ولأنه
يتساءل ويسأل ويُساءل ولا يكف
عن السؤال من وجهة أخرى. وما كان
ذلك كذلك إلا لأن المعرفة التي يروم
أن يرتاد حياضها وينهل من ينابيعها،
هي بنت السؤال والتساؤل والمساءلة.



أ . د . هنذر عياشي
أكاديمي ولساني وعترجم
سوري

إذا لم يرفع المثقف
للسؤال نصباً،
ويذهب به مَدْخَلاً
لكل القضايا:
في السياسة ،
والاجتماع، والاقتصاد،
والعلم، والمعرفة،
فإنه يخون ما يُسَرُّ له
في أصل خلقه وأصل
كينونته الثقافية

المثقف ومعرفة الوعي

بين بناء الفكر وخوارزميات العالم الرقمي



سمير أهرابي
كاتبة وإعلامية

فالوعي ليس امتلاك قدر أكبر من المعلومات، وإنما امتلاك رؤية أعمق للواقع؛ بأن نفهم ما يجري، ولماذا يجري، وما القوى والمصالح والأفكار التي تقف خلفه، وأن ندرك موقعنا منه وقدرتنا على التأثير فيه.

ولهذا قد يكون الإنسان غارقاً في سيل من المعلومات، دون أن يكون أكثر وعياً.

وخصوصاً أن العالم الرقمي اليوم يجعلنا ندور حول أنفسنا في دائرة تجعلنا نعتقد أننا محور الكون والرأي الوحيد الصحيح هو رأينا، والعالم كله يشبهنا، ذلك لأن الخوارزمية في النشر تجعل ما نضغط عليه، وما ننشأه حتى النهاية، وما نغضب منه فتفاعل معه، وما نشأه، تجعله يتكرر في ظهوره لنا، فتتشكل فقاعات مغلقة يرى الإنسان داخلها الآراء التي تشبه رأيه فقط، ويسمع الأصوات التي تؤكد قناعاته فقط، فيتوهم أن ما يراه هو الحقيقة كلها، وأن الجميع يفكرون مثله، وأن المختلف معه إما جاهل أو خائن أو مضلل.

وقد تحدثت في كتابي «نظرية الشعوب» عن وسائل صناعة الرأي والتأثير في الجماهير وهي: الانتقاء، والتأطير، والإخفاء، والتكرار. وهذه الأدوات وجدت في وسائل التواصل اليوم قدرة غير مسبقة على الانتشار. فيمكنك ألا تكذب على الناس، ولكنك تصنع لهم صورة غير حقيقية؛ يكفي أن تختار لهم جزءاً محدوداً من الحقيقة ليروه، وتخفي من الحقيقة ما تريد تحييده.

وعليه فيمكن لفكرة ضعيفة أن تبدو راسخة حين تتكرر مئات المرات، ولخير هامشي أن يتحول إلى قضية مجتمع، ولقضية مصيرية أن تختفي تقريباً لأن المنصات لم تجد فيها ما

قد يقضي باحث سنوات في دراسة قضية، ثم يظهر شخص أمام هاتفه يختصر القضية كلها في ثلاثين ثانية، فيشاهده مليون إنسان، ويصبح رأيه هو الرواية الأكثر تداولاً.

هذه المفارقة تختصر كثيراً مما تغير في صناعة الوعي اليوم.

ففي الماضي كان المثقف يحتل مساحة معتبرة في تشكيل الرأي العام، أما اليوم، فقد تغيرت خريطة التأثير، ودخل إلى الميدان المؤثر وصانع المحتوى والمنصة الرقمية، وفوقهم جميعاً لاعب خفي يقرر إلى حد بعيد ما نراه وما لا نراه: الخوارزمية.

في كتابي «نظرية الشعوب» انطلقت من سؤال طالما شغل مجتمعاتنا: من أين تبدأ نهضة مجتمعاتنا؟ من القائد القادر؟ أو الشعب المتميز؟ أو المشروع السياسي المنفذ؟

بالعودة إلى التجارب التاريخية نجد أن صناعة القادة، على أهميتها، لا تكفي إن لم تسبقها أو ترافقها صناعة الشعوب؛ لأن الشعب الذي لا يمتلك وعياً يحرس به حريته قد يعيد إنتاج استبداده، حتى بعد سقوط المستبد. ومن هنا يصبح الوعي قضية مركزية، ويصبح السؤال: من يصنع وعي الشعوب؟

في زمن سابق كان من الممكن البحث عن إجابة محددة نسبياً: الأسرة، المدرسة، المؤسسة الدينية، المثقف، الصحافة، التلفزيون، السلطة السياسية. أما اليوم فقد تشظت وتعددت مصادر التأثير، وأصبح الإنسان يتلقى في يوم واحد من المعلومات والصور والآراء ما كان الإنسان سابقاً يقضي حياته كلها ليحيط به.

ومع وفرة المعلومات فإنها لم تنتج بالضرورة وفرة في الوعي.

إن أخطر ما يمكن أن يحدث للمثقف في زمن الاستقطاب أن يتحول من صاحب موقف إلى تابع لجمهوره



يكفي من الإثارة. فالذي يملك انتباه الناس يملك مدخلاً إلى وعيهم، وهنا تحديداً تبدأ معركة المثقف.

فلم يعد كافياً أن يمتلك المثقف المعرفة، بل صار من الضروري أن يمتلك القدرة على جذب الانتباه وتحقيق الانتشار ليصل صوته وأفكاره، ويؤثر في الآخرين، لكن انتشار المثقف لا يعني أن يتحول إلى نسخة أخرى من صانع المحتوى الباحث عن المشاهدات: يقول ما يرضي الجمهور، ويتجنب ما يغضبه، ويختار القضية الرائجة بدل القضية المهمة، فهو عندها يفقد دوره في رفع سوية الوعي، حتى إن تضاعف عدد متابعيه، فمسؤولية المثقف ليست أن يقول للجمهور ما يحب سماعه، وإنما أن يساعد الجمهور على رؤية ما ينفعه، والعمل به.

وهذا فارق جوهري بين صناعة الوعي وصناعة الجمهور.

صناعة الجمهور هدفها الحصول على الإعجاب والمشاركة والانتشار، أما صناعة الوعي فهدفها صناعة الإنسان القادر على التفكير، والسؤال، والمراجعة، والتمييز، والاعتراض. والشعوب لا تُصنع بالتلقين، وإنما ببناء عقل قادر على التفكير الإيجابي، وهذه إحدى أهم مسؤوليات المثقف اليوم: ألا يقدم لجمهوره إجابات جاهزة فقط، بل أن يمنحه أدوات السؤال.

أن يعلمه أن يسأل أمام الخبر: من اختار لي هذه المعلومة؟ وما الذي لم يخبرني به؟

ويسأل أمام الصورة: ماذا يوجد خارج إطارها؟ وهل هناك جزء منها مفلتر أو محذوف؟

ويسأل أمام الرأي الشائع: هل أصبح صحيحاً لأنه تكرر؟ وهل أنا أؤيده بناء على قناعة وتفكير أم أنني أنفعل في الانقياد له كما يفعل القطيع؟

إن أخطر ما يمكن أن يحدث للمثقف في زمن الاستقطاب أن يتحول من صاحب موقف إلى تابع لجمهوره.

ومن المهم أن نعلم أن المثقف الذي لا يستطيع مخالفة جمهوره حين يرى أنه مخطئ يجيد تماماً عن دوره الأساسي.

ولهذا فنحن بحاجة إلى إعادة

ينطلق من خصوصيته ليقرأ واقع، ويستفيد من تجارب الآخرين دون أن يستنسخها، ويسهم في بناء مشروع حضاري نابع من هوية مجتمعه وقادر على الاستجابة لتحديات عصره.

وفي سوريا اليوم، تبدو مسؤولية المثقف أكثر إلحاحاً؛ لأن سقوط الاستبداد -مع أنه يفتح الباب لبناء الدولة- لا يمحو تلقائياً ما تركه في العقول والنفوس. هنا يبدو دور المثقف جوهرياً في التأسيس لشعب قادر على التفكير خارج صندوق الخوف والتحريض والعصبيات، والتركيز على كل ما يجمع السوريين بعد سنوات استثمر فيها كل ما يفرّقهم.

وهنا تحديداً، لا يملك المثقف السوري ترف الوقوف على هامش المشهد؛ فالكلمة التي يكتبها اليوم لا تفسّر واقعاً يتشكل فحسب، وإنما تشارك في تشكيله.

فسوريا التي تحررت من استبداد حكمها خمسين سنة، ما زال أمامها أن تتحرر من آثاره في وعيها؛ وتلك معركة لا تُحسم بسقوط نظام، وإنما بصناعة شعب يعي حريته، ويحسن ممارستها، ويمتلك من الوعي ما يجعله شريكاً في بناء وطنه، وصانعاً لمستقبل يليق بتضحيات أبنائه.

تعريف المثقف. فالمثقف ليس صاحب الشهادة العليا، ولا صاحب اللغة الأكثر تعقيداً، ولا من يملك أكبر عدد من المتابعين.. إنه الإنسان الذي يمتلك معرفة تسمح له بأن يرى أبعد من اللحظة، وضميراً يدفعه إلى قول ما يراه حقاً، وقدرة على تحويل معرفته إلى أثر في المجال العام.

وإذا كانت الكلمة تستطيع أن توقظ شعباً أو تسهم في تنويعه، فإن مسؤولية صاحب الكلمة أصبحت اليوم أثقل؛ لأن الكلمة لم تعد تنتظر مطبعة ولا صحيفة لتنتشر، فضغطة واحدة قد تحملها إلى مئات الآلاف.

لهذا فإن معركة المثقف اليوم ليست في مواجهة صناع المحتوى، معركته الحقيقية هي مع السطحية والتضليل والاستقطاب والاستسلام لمنطق الخوارزمية، ومع عجز المعرفة الجادة عن الوصول إلى الناس.

وفي الوقت نفسه نحن لا نحتاج إلى مثقف يقف فوق المجتمع ليخبره كيف يفكر، بل نحتاج إلى مثقف يعيش في مجتمعه، يفهم لغته وأسئلته ومخاوفه، ويقدر مقوماته الحضارية والعناصر التي شكلت ثقافته، فلا يستورد له وصفات نهضوية جاهزة من مجتمعات غربية ولا شرقية، وإنما

المثقف السوري..

المسؤولية والدور في زمن العاصفة

السوري نفسه أمام امتحان شاق مكلف جداً، إما أن ينحاز بوضوح وشجاعة إلى الشعب المطالب بالحرية والكرامة باعتبارها مطالب عادلة أخلاقية، مخاطراً بدفع ثمن هذا الموقف، وإما أن ينحاز إلى نظام دموي استبدادي مؤثراً سلامته ومصالحه على حساب قيمه، في حين يبدو خيار التمسك بالموقع النقدي مكلفاً أيضاً وعرضة للهجوم، باعتباره هروباً من استحقاق التعبير الصادق عن الموقف. في هذا الواقع المعقد، أزعج أن مسؤولية المثقف، تبدأ من لحظة إدراكه أنه ليس مجرد فرد عادي، وهذا الوصف ليس توجهاً نخبياً فوقياً، وإنما انعكاس واقعي موضوعي، فالمثقف يمتلك أدوات تأثير لا يمتلكها غيره، ابتداء من الوعي بالظواهر والمشكلات، والقدرة على تفكيكها، وانتهاء بالكلمة التي يكتبها، والمحاضرة التي يلقها، والتحليل الذي يقدمه، فهي كلها روافع فاعلة ومؤثرة، تمتد إلى وعي الناس وتشكيل مواقفهم، حتى لو بدا ذلك التأثير بطيئاً أو غير مباشر.

هذه الديناميات، بدت بالغة التأثير في السياق السوري خلال الثورة، فقد بدأت مسؤولية المثقف من لحظة انكشاف زيف الخطاب الرسمي للسلطة، وتحول أدوات إدارة المجتمع من قبلها إلى أدوات عنف وترهيب بلا أي محاولة لتزيين الموت المنفلت من كل عقال، وتحول الخوف الفردي من استبداد السلطة إلى حالة جماعية يعاينها السوريون كل يوم في الشوارع والمعتقلات وفي الأجواء الممتلئة انفجارات وشظايا ودماء.

أمام هذا المشهد المكشوف بوضوح للمثقف السوري، كان عليه أن يكون صوتاً واضحاً للحقيقة والوجع السوري، ليس بالضرورة صوتاً معارضاً

يحمل السؤال عن حدود مسؤولية المثقف تجاه قضايا مجتمعه العامة إشكالية كبرى، لكنها في سياق سوري راهن، وحافل بالتغيرات والتحولات والتحديات، تتحول هذه الإشكالية إلى معضلة وجودية، فالبلاد تحول فيها العمران إلى خرائب، وذكريات البيوت إلى غصص خائقة، والإنسان إلى رقم في إحصائية استشهاد أو نزوح فُقدان، أو عودة للبحث عن بقايا وشوم ولمحات فقدان وبعض ملامح بيوت، ما يجعل سؤال دور المثقف أشبه بالسؤال عن دور النجمة في ليلٍ تكسوه العتمة.

ينطوي التعريف بكلمة «المثقف» في دلالاتها الأكثر بساطة، على رهان أساسي على امتلاك أدوات نقدية تمكّن من فهم الواقع وتفكيك معادلاته، وتجاوزه نحو آفاق أوسع، لكن امتلاك هذه الأدوات في السياق السوري وراهنه المعقد، يصطدم بتحديات لا حصر لها، فالتجربة المريرة لعقود طويلة مع أنظمة الاستبداد كرست لدى معظم المثقفين هيمنة الصمت والانسحاب، أو التعبئة الأيديولوجية، بموازاة لامبالاة مجتمعية بالمنتج الثقافي والمثقف نفسه، وهو واقع وضع المثقف السوري، على اختلاف توجهاته وانتماءاته، رهينة توتر وتجاذب بمواجهة عدة جهات، سلطات سياسية أو دينية أو اجتماعية، تفرض عليه الامتثال لخطوطها العامة، وخاصة الحُمر منها، وشعب يريد أو يأمل منه أن يكون ترجماناً لأوجاعه وأحلامه، ونفسه الطامحة الراغبة بأن يحافظ على هامش من الحرية والاستقلالية والوفاء لقيمه الفكرية والإبداعية والجمالية.

ولقد تبدى هذا التوتر والتجاذب في أعماق أشكاله مع انطلاق الثورة السورية عام 2011 حيث وجد المثقف



د . عمر إدلبي

كاتب وباحث سياسي سوري

خسرت المجتمعات
كثيراً من مثقفيها
ممن تحولوا
إلى مجرد خطباء
ثوريين افتقدوا
أهم أدواتهم،
وهي القدرة
على الرؤية
من زوايا متعددة





بالمعنى السياسي الضيق، لكن صوتٌ يقول للحقيقة إنها ليست وحيدة دون نصير، وقد دفع كثيرٌ من المثقفين السوريين ثمن هذا الموقف الشجاع الواضح، بالاعتقال، أو المنفى، أو بصمت قسري مدمر للذات والزَّوج بعد أن ضاقت بهم خيارات الكلام.

وربما يجب تأكيد أن مسؤولية المثقف وفق هذا السياق لا تعني وجوب إلزام المثقف بالتحول إلى ناشط سياسي أو تائر ميداني، فالتحول هذا قد يقتل لدى بعض المثقفين جوهرهم المتمثل بالوعي الرصين والتفكير والنقد الذاتي، وقد خسرت المجتمعات كثيراً من مثقفيها ممن تحولوا إلى مجرد خطباء ثوريين افتقدوا أهم أدواتهم، وهي القدرة على الرؤية من زوايا متعددة.

من هذا المنطلق تبرز حدود دور المثقف ومسؤوليته، إذا تقتصر مهمته الأساسية في سياق التحولات الكبرى كما الحالة السورية، على أطرها الثقافية بالمعنى الواسع، تشكيل وعي نقدي، وتقديم رؤى ممكنة، وكشف الأكاذيب والتناقضات، وفتح فضاءات للحوار لم تكن متاحة، فهو ليس بديلاً عن المؤسسات، وليس مكلفاً بقيادة الجماهير، وليس مسؤولاً عن رسم السياسات العامة بشكل مباشر.

لكننا نعثر في تجربة المثقف السوري خلال سنوات الثورة ومواجهة الاستبداد، على حالات من التداخل التي استدعتها حالة الفراغ السياسي وضرورات انخراط المثقف في أدوار سياسية، أو رغبة المثقف في أداء هذا الدور أو ذاك في سياق العمل السياسي أو الثوري، وهو تداخل خطير لا يمكن تصويره دون تأثيرات جديّة في المثقف نفسه جراء التنازع بين متطلبات الحياء الفكري وإكراهات الولاء السياسي، وفي الحقل الثقافي الذي يمكن أن يصبح مرآة للاستقطابات السياسية، ما يعقد إشكالية وضع حدود واضحة بين دور المثقف القيادي ودوره الثقافي.

وتكمن هذه الحدود في قدرة المثقف على التمييز بين اللحظات، فهناك لحظات تستدعي الكلام، ولحظات تستدعي النقد والتحليل الرصين، ولحظات تستدعي الكتابة،

ويرفض اليقين المطلق في زمن بصر الجميع فيه على امتلاكهم الحقيقة الكاملة، ولا يتحول إلى صوت يختزل العالم إلى ثنائيات صديق/عدو.

ختاماً، فإن مسؤولية المثقف السوري، في هذا الزمن العاصف، لا تقاس بعدد البيانات أو المقالات أو المحاضرات، وإنما بقدرته على البقاء إنساناً مفكراً في زمن يُختزل فيه الإنسان إلى أدنى درجات الهوية، والإبداع إلى شعار تعبوي، والاختلاف إلى خيانة وإقصاء، وما نحتاج إليه اليوم هو مثقف يكون جسراً بين ذاكرة مهمومة مهشمة وأمل ممكن، بين واقع مرّ وحلم ومستقبل تستحقه تضحيات السوريين. هذا هو دور المثقف، كما أراه، وهذا هو مصيره الجميل والمأساوي في آن معاً، أن يكون مسؤولاً دون أن يكون سلطة، وأن يكون حراً ومبادراً، لا تابعاً ولا مهقشاً.

وأخرى تستدعي الفعل الإنساني، وربما السياسي المباشر، دون أن يتحول هذا الفعل إلى تبني خطاب سياسي يضعف قدرة المثقف على رؤية الصورة الكاملة، فيتحول النقد الذاتي إلى دفاع، والمراجعة إلى تبرير، والوعي الفكري القيمي إلى أيديولوجيا بأدوات تعبوية أو دعائية.

وسؤال التوازن بين الاستقلال الفكري والموقف الواضح هو أصعب ما يواجه المثقف السوري اليوم في سياق يعج بالاستقطابات، في المنافي والوطن على حد سواء، والاستقلال الفكري ليس حياداً أخلاقياً، وليس تخلياً عن الانحياز إلى القيم الإنسانية، الحرية، والعدالة، والكرامة، لكنه يعني أن يظل المثقف قادراً على قول «لا» للمخطئين ولو كانوا كثرة وسلطة، وعلى قول «نعم» لمن يتمسكون بالصواب مهما كانوا قلة وضعفاء، ويرفض التهويل في زمن غارق بالمبالغات والأكاذيب،

المثقف السوري ومسؤوليته في زمن التحول

اقتصادية ومعيشية وثقافية تحتاج إلى قراءة عميقة تتجاوز معالجة مظاهرها المباشرة.

وتتصل المعرفة هنا بمسؤولية أخلاقية تُجاه المجتمع، فالمثقف السوري مطالب بقراءة واقعه ونقده، والإسهام في رفع وعي الناس بالقضايا التي تمس حياتهم ومستقبلهم، وتكوين موقفه على أساس المعرفة والمسؤولية.

وتأتي أهمية هذا الدور من قدرة المثقف على كشف ما قد يصبح مألوفاً من كثرة تكراره، وعلى مساءلة المواقف السائدة، وعلى منح القضايا العامة مساحة للتفكير الهادئ، فالرؤية الناقدة في مرحلة التحول يمكن أن تساعد المجتمع على اكتشاف مواطن الخلل، وفهم أسبابها، والبحث عن إمكانيات تجاوزها.

وتنعكس هذه المسؤولية على علاقة المثقف بالمؤسسة الثقافية الرسمية، فبناء الحياة الثقافية يحتاج إلى تفاعل بين المعرفة والخبرة من جهة، والقدرة المؤسسية من جهة أخرى، إذ تمتلك المؤسسة أدوات التخطيط والتنظيم وتنفيذ البرامج والوصول إلى الجمهور، ويمتلك المثقف القدرة على قراءة التحولات وتفسيرها واقتراح ما يتصل بها من رؤى و تطلعات، وحين يلتقي الطرفان على هدف ثقافي واضح، تصبح المؤسسة أكثر قدرة على الاستجابة لحاجات المجتمع، ويصبح المثقف أكثر قدرة على تحويل أفكاره إلى أثر يتجاوز نطاق حضوره الشخصي. وتأخذ هذه الشراكة قيمتها

الحقيقية حين يشارك المثقف في التفكير في السياسات والبرامج الثقافية، وفي تقييم أثرها، وتكون المؤسسة مستعدة للاستفادة من المعرفة والخبرة والنقد القادم من

في المجتمعات التي تمر بتحويلات عميقة، تكشف الثقافة أسئلة تتجاوز حدود الفن والتعبير والجماليات إلى طبيعة المجتمع نفسه. ويظهر ذلك بوضوح في وطننا سوريا، حيث يتقاطع التنوع الاجتماعي والديني والثقافي مع آثار سنوات الحرب والدمار، فتبرز تباينات في الرؤى والتصورات والذائقة وطرق التعبير، وفي المواقف من بعض القضايا التي تمس الحياة العامة. وتكتسب هذه المسائل أهمية خاصة في مرحلة يعاد فيها تشكيل كثير من التصورات التي تحكم علاقتنا بالمجتمع والدولة والآخر والمستقبل. يضعنا هذا الواقع أمام سؤال يتصل بجوهر العمل الثقافي: كيف يمكن للثقافة أن تسهم في بناء مجتمع قادر على التفكير في تحولاته وفهم اختلافاته وصياغة رؤيته للمستقبل؟ عند هذه النقطة يظهر دور المثقف، إذ إن التحولات الكبرى تحتاج إلى من يقرأ ما وراء الأحداث، ويربط بينها، ويكشف ما تحمله من دلالات اجتماعية وفكرية، ويمنح المجتمع القدرة على النظر إلى واقعه بوعي أوسع.

المثقف، في معناه الاجتماعي هو صاحب معرفة ووعي نقدي وحضور في الشأن العام، تتحدد قيمته بقدرته على تحويل المعرفة إلى قراءة للواقع، وعلى مساءلة الأفكار التي تحكمه، وطرح الأسئلة التي قد تغيب وسط الانشغال بالأحداث اليومية، فالمثقف لا يكفي بمتابعة التحولات، وإنما يسهم في إنتاج المعنى الذي يساعد المجتمع على فهمها.

وفي الحالة السورية، تكتسب هذه الوظيفة أهمية مضاعفة؛ لأن المجتمع يواجه آثاراً ممتدة للحرب في الذاكرة والعلاقات الاجتماعية والثقة بالمؤسسات، إلى جانب أزمات



تamyeh عبد الحَكيم علعل

باحثة وكاتبة سورية

**المثقف السوري
مطالب بقراءة
واقعه ونقده،
والإسهام في رفع
وعي الناس بالقضايا
التي تمس حياتهم
ومستقبلهم، وتكوين
موقفه على أساس
المعرفة والمسؤولية**





الراهن بنظرة بعيدة المدى، تراعي الآثار النفسية والاجتماعية والفكرية المركبة التي خلفتها سنوات الدمار والحرب في حياة المواطن السوري. وتتمثل مسؤولية الثقافة في الانتقال من التعامل مع آثار المرحلة السابقة إلى الإسهام في صياغة تصور للحياة السورية المقبلة: كيف نريد أن نعيش مع اختلافاتنا؟ كيف نعيد بناء علاقتنا بالمعرفة والمؤسسات؟ وكيف نجعل الثقافة جزءاً من عملية النهوض الاجتماعي؟

وهنا يتسع دور المثقف من قراءة الحاضر ونقده إلى المشاركة في تشكيل الوعي الذي ستبنى عليه المرحلة المقبلة، فسوريا الخارجة من سنوات طويلة من الحرب والانقسام تحتاج إلى وعي قادر على مراجعة ما راكمته تلك السنوات من أفكار ومواقف وصور عن الذات والآخر والمجتمع والدولة، وعلى إعادة النظر فيها من موقع أكثر قدرة على الفهم والنقد.

وبأني دور المثقف في فتح هذا المجال الفكري، من خلال إنتاج المعرفة، ومساءلة المسلمات، وتصحيح

المفاهيم، وطرح الأسئلة التي تساعد المجتمع على بناء موقف أكثر وعياً من واقع ومستقبله، حيث يمتد هذا الدور إلى الفن والإبداع، حين يصبح الفنان والمثقف قادرين على قراءة التحولات الإنسانية والاجتماعية والتعبير عنها، وتحويل التجربة السورية إلى مادة للتأمل والفهم وإعادة بناء المعنى.

قد تكون هذه اللحظة فرصة لإعادة تعريف حضور المثقف في الحياة السورية، من صاحب موقف تجاه حدث إلى شريك في صناعة الوعي، ومنتج للأفكار، ومساهم في تطوير السياسات والمشروعات الثقافية، فالمستقبل الثقافي لسوريا يحتاج إلى قرارات ومؤسسات، ويحتاج كذلك إلى حوار مستمر بين أصحاب الفكر والمعرفة وأصحاب الخبرة والعمل المؤسسي.

ومن هذا الحوار يمكن أن تتشكل رؤية أكثر وعياً بتجربة المجتمع وتحولاته، تستند إلى ما راكمه السوريون من معرفة وتجارب وإبداع، وتحول هذه الخبرة إلى أفكار ومواقف وممارسات قادرة على الإسهام في بناء المرحلة المقبلة.

الوسط الثقافي. وتحتاج هذه العلاقة إلى وضوح في الأدوار، واستقلال فكري، واحترام متبادل فعال وتغليب المصلحة الوطنية على الأمور الأخرى. وتظهر أهمية هذا الدور حين تنتقل القضايا الثقافية إلى المجال العام وتصبح موضع نقاش واختلاف، فعندها يحتاج المجتمع إلى قراءة تضع كل قضية في سياقها، وتساعد على فهم المواقف المتعددة ودوافعها وحدودها، وتحافظ على إمكانية الحوار بين أصحابها، والمثقف يستطيع أن يؤدي هنا دوراً معرفياً وأخلاقياً في آن واحد، إذ يشرح قبل أن يحكم، ويناقش قبل أن يصطف، ويفتح مساحة للتفكير حين يدفع التوتر نحو الأحكام السريعة.

وتصبح حماية المجال الثقافي من الإقصاء والتحريض جزءاً من مسؤولية الجميع، مع احترام حق المجتمع في التعبير والمشاركة ضمن القانون والمصلحة العامة.

وتحتاج سوريا في مرحلة التحول إلى حضور ثقافي وفكري يواكب ما يجري فيها، ويمنح المجتمع مساحة للتفكير في أسئلته الجديدة وواقعه



الكرافة

عادة اجتماعية متوارثة في الجزيرة السورية، ترتبط بطقس ختان الطفل؛ إذ يختار والده رجلاً من ذوي المكانة والمروءة ليحمله في حضنه أثناء الختان، فيصبح هذا الرجل «كريفاً» للطفل. ومن هذه اللحظة تنشأ بين أسرة الطفل وأسرة الكريف قرابة اجتماعية ذات التزامات متبادلة، تقوم على النصرة والمساندة، والمشاركة في الأفراح والشدائد، والتدخل في حل النزاعات. وتُشَبَّه هذه الرابطة في الذاكرة الشعبية بأخوة الدم، رغم أنها لا تقوم على صلة الرحم.

وقد أسهمت الكرافة في توثيق العلاقات بين عائلات عربية وكردية وسريانية وإيزيدية، حتى غدا الكريف أباً اجتماعياً للطفل، وغدت الأسرتان أقرب إلى أهل بيت واحد.



ملف العدد

يقترب «ملف العدد» من الحِرَف التراثية السورية بما تحمله من معرفة حيّة تحتاج إلى الصون والتطوير معاً، ويتناول الملف دور المؤسسات في التوثيق والحماية، وتجدد الحرفة في أيدي أصحابها، ومسارات تطويرها، بما يفتح النقاش بشأن استدامة الحرف وربطها بالإبداع والاقتصاد المعاصر، وحضورها المتجدد في الحياة الثقافية والاجتماعية في سوريا اليوم.

الحرف السورية كيف يتجدد التراث ويبقى في أيدي أصحابه

أما نقل الهيئة الخارجية إلى إنتاج يستغني عن خبرة النفخ، فيثير مسألة مختلفة؛ قد يستمر حضور الشكل في السوق، بينما تضيق فرص ممارسة المعرفة التي أنتجته، ولهذا ينبغي أن يكون استمرار التعلم داخل الورشة جزءاً من تقييم أي مشروع لتطوير هذه الحرفة.

وتتيح حرفة صناعة صابون الغار الحلبي، التي أدرجت عام 2024 على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي، النظر إلى الحرفة من خلال العلاقات التي تجعل إنتاجها ممكناً، إذ يوثق ملف اليونسكو استخدام زيت الزيتون وزيت الغار، وانتقال المهارات داخل العائلات، وتجفيف الصابون من ستة أشهر إلى تسعة.

لهذا المنتج زمنٌ وشبكة عمل ينبغي أن يفهمهما من يريد تطويره، فتحسين العبوة أو الوصول إلى مشترين جدد قد يفيد الصانع، شرط ألا يتحوّل ضغط التسليم والسعر إلى سبب لإضعاف الممارسة التي تقوم عليها قيمة المنتج.

في هذا السياق، يمكن للصناعات الإبداعية أن توفر صلات مفيدة بين الحرف والتصميم والأزياء والعمارة والنشر البصري، ويحتاج هذا التعاون إلى فهم يبدأ من المادة وإمكاناتها، ومن الاستعمال الذي يُقترح للقطعة، فتصميم مصباح من الزجاج المنفوخ، مثلاً، يقتضي عملاً مشتركاً على الوزن والتوازن وقابلية التركيب، إلى جانب اللون، والمصمّم الذي يدخل الورشة بهذه الأسئلة يستطيع أن يتعلّم من الحرفي، وأن يتيح له اختبار اقتراحاته، فيصبح الابتكار عندئذ نتيجة معرفة

يمكن لقطعة زجاج منفوخ أن تتحوّل إلى وحدة إضاءة معاصرة، ولنسيج يدويّ أن يدخل في تصميم حقيبة جديدة.

يفتح هذا التغيير باباً لاستعمال الحرفة في حياة الناس، لكنه يطرح أيضاً سؤالاً يتجاوز شكل المنتج: ماذا يبقى من الحرفة حين تتغيّر وظيفتها وسوقها؟ في النقاش بشأن الحرف السورية والصناعات الإبداعية، ترتبط الإجابة بمصير المعرفة التي تحملها الورشة، وبقدرة الحرفي على المشاركة في التطوير والاستفادة من عائده. ينطوي السؤال عن تطوير التراث -دون أن يفقد نفسه- على افتراض يحتاج إلى مراجعة: أن للتراث صورةً مكتملة يمكن قياس كل تغيير بالرجوع إليها، والحال أن مفهوم التراث الحي، كما تصوغه اتفاقية اليونسكو لعام 2003، يقوم على إعادة خلق الجماعات لموروثها استجابةً لبيئتها وتاريخها، لذلك، يمكن أن نحافظ على صلة الحرفة بماضيها مع فسخ المجال لتغيّر ألوانها وأحجام منتجاتها واستعمالاتها، ويقتضي ذلك أن نحدّد، مع ممارسيها، المعارف والمهارات التي يمنح استمرارها هذا التغيير معناه. تظهر أهمية هذا التمييز في حرفة نفخ الزجاج السوري التقليدي، التي أدرجت عام 2023 على قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي الذي يحتاج إلى صون عاجل، فالقطعة الزجاجية تحمل معرفةً بكيفية التعامل مع المادة المنصهرة وتشكيلها بالنفخ والأدوات، ويمكن اقتراح تصاميم جديدة تُنتج بهذه المهارة وتوسّع الطلب عليها.



د . هلا قصص
مؤسسة ومديرة ملتقى روافد
للتراث السوري

قيمة
المعرفة الثقافية
أوسع من قدرتها
على تحقيق مبيعات،
وحمايتها تستدعي
مسؤولية عامة إلى
جانب
المبادرة التجارية





متبادلة تظهر في جودة المنتج وصلاحيته للاستعمال.

غير أنّ وصف التعاون بالشراكة لا يكفي لضمان عدالته، فينبغي الاتفاق منذ البداية على من يتخذ قرارات التصميم، وكيف تُحسب أجور التجارب والقطع المرفوضة، ومن يملك حق استخدام الصور والتصاميم لاحقاً، كما يستحق الحرفي أن يُذكر اسمه ومساهمته حيث تُعرض أعماله، وأن يعرف شروط بيعها.

وتؤكد مبادئ اليونسكو الأخلاقية الدور الأساسي لحملة التراث في صونه، واستفادتهم من المصالح المعنوية والمادية الناتجة عن استخدامه وتكييفه، وتُمكن ترجمة هذا المبدأ إلى اتفاقات واضحة تمنع أن تنمو قيمة العلامة التجارية فيما يظل الصانع مجهولاً وأجره ثابتاً.

وتحتاج مسألة الأصالة نفسها إلى قدر من الدقة؛ فاحترام المعرفة المتوارثة يسمح بالنقاش بشأن الأدوات والمواد، وبما يمكن تغييره لتحسين ظروف العمل أو خفض الهدر. ويُفترض أن يشارك الحرفيون في تقدير أثر هذه التغييرات، وأن يُوضّح للمشتري ما صُنِعَ يدوياً وما أنجز بوسائل أخرى، وقد يكون توثيق تقنية قليلة الطلب ودعم تعليمها ضرورياً حتى حين يعجز السوق عن تمويل استمرارها، فقيمة المعرفة الثقافية أوسع من قدرتها على تحقيق مبيعات، وحمايتها تستدعي مسؤولية عامة إلى جانب المبادرة التجارية.

أما اقتصاد الحرفة فيحتاج إلى حسابات تبدأ من الورشة، فالتسعير الذي يُغفل ساعات العمل وكلفة المواد والطاقة والتجريب يترك الحرفي يمتصّ الخسارة من دخله ووقته.

ويمكن لبرامج الدعم أن تسهم في شراء المواد بصورة مشتركة، وتحسين تجهيزات العمل، وتمويل فترات تدريب مدفوعة تتيح للمتعلم الاستمرار دون التضحية بمورد عيشه، ويستحق المعلم بدوره مقابلًا عن وقت التعليم.

وتطرح اليونسكو الحوافز المالية للمتعلمين والمعلمين باعتبارها وسيلة لدعم انتقال المهارات، وبذلك تصبح

الدعوة إلى تعلّم المهنة مقترنة بإمكان ممارستها.

ويتطلّب بناء السوق تنويع المشترين والاستخدامات، وتستطيع المنتجات التي تلائم البيوت المعاصرة، أو تدخل في تجهيز المطاعم والمؤسسات الثقافية، أن تمنح الورشات طلباً يتكرّر، كما يمكن الوصول إلى السوريين في الخارج وإلى مشترين يقدّرون الصناعة اليدوية، مع الانتباه إلى كلفة الشحن والتسويق وقدرة الورشة على الالتزام.

ومن المفيد ألا يحصر الدعم الحرفة في الهدايا المرتفعة الثمن؛ فاستمرار حضورها في الاستعمال المحلي يحفظ علاقة الناس بها. ويحتاج ذلك إلى تجريب مدروس للأحجام والوظائف والأسعار، دون تحميل الصانع وحده كلفة جعل المنتج ميسوراً.

ولمؤسسات المجتمع المدني دور في وصل هذه الجهود بالمعرفة. ففي «رواق مبادرة التراث السوري»، ننطلق من ربط القطعة بصانعها، وتوثيق المهارة والرواية الشفهية والسياق الاجتماعي مع المادة والصورة. وهذا التوجّه يمنح التوثيق وظيفة

تتجاوز إعداد سجل للأشياء؛ إذ يساعد على فهم القرارات التي يتخذها الحرفي في أثناء العمل، ويحفظ أسماء أصحاب المعرفة ومساهماتهم.

ويمكن بناء تعاون بين مبادرات التوثيق والورشات ومؤسسات التعليم، بحيث تُستخدم المواد الموثقة في التعلّم والبحث بموافقة أصحابها، وتبقى لهم مشاركة في كيفية تقديم ممارساتهم إلى الجمهور.

وعند تقييم مشروع لتطوير الحرف، ينبغي أن نسأل عما تغيّر بعد انتهاء المعرض أو التمويل، هل تحسّن دخل العاملين؟ وهل بقي المتدربون في المهنة؟ وهل اكتسبت الورشة زبائن يعودون إليها، وهل صار لدى الحرفي وقت لتعليم مهارته وتجريب أفكاره؟

فهذه الأسئلة تتيح قياس أثر يمكن تتبّعه، ويتجّد التراث حين يتمكّن أصحابه من اتخاذ قرارات بشأن مستقبل عملهم، وتتوفر لهم شروط توريث معرفتهم لمن يرغب في تعلّمها، وعندها يكتسب التصميم الجديد قيمة تمتد إلى الحياة التي تسمح بإنتاجه.

الحرف التقليدية السورية في غرفة الإنعاش

هؤلاء الحرفيين، إذ يمثل ارتفاع أسعار الكهرباء والمواد المساعدة الأخرى عائقاً حاسماً يحول دون تخفيض أسعار السلع الحرفية، ومع غياب التجهيزات الملائمة والمتطورة للنشاط الحرفي، وتعاضم الصعوبات الناتجة عن التمويل، يعجز الحرفي عن الاستمرار؛ خاصة في ظل عدم قدرته على الوصول إلى رأس المال، ولو على شكل قروض صغيرة تتيح له تحسين إنتاجه وتوسيعه، وتغطية النفقات التأسيسية.

وهذه الحلقة المفرغة أدت إلى نتيجة حتمية: مردود مالي ضئيل لغالب الحرف اليدوية بسبب ارتفاع أسعارها واضطرار الحرفي إلى رفع السعر لتغطية كلفته، مما يُترجم مباشرة إلى صعوبة تصريف الإنتاج في الأسواق الداخلية، وكساد كميات كبيرة من البضائع في المستودعات.

ثانياً- النقد الموجّه للبيئة التشريعية والسياسات الوطنية:

وهنا يكمن نقدنا الحقيقي والملح؛ كيف لقطاع يُفترض أنّه «نِظف ثقافي» أن يُترك بلا مظلة قانونية أو حماية تدعمه؟ إنّ القراءة الفاحصة للواقع تكشف عن فجوات تنظيمية وسيادية حادة، أبرزها:

- **التعسف الضريبي والجمركي:** من المفارقات الصادمة غياب السياسات الملائمة على المستوى الوطني، والتي من شأنها صنع مناخ ملائم لنمو هذا القطاع، وبدلاً من التسهيل، تصطدم الحرف بارتفاع قيمة الضرائب والرسوم الجمركية على كثير من المستوردات من المواد الأولية اللازمة، وتمثل التشريعات الضريبية المبنية على أسس

حين تسير في أزقة دمشق القديمة، لا تستقبلك الجدران العتيقة بوصفها حجارة صماء، بل بصفتها سجلاً حياً للتاريخ نقشته أنامل الحرفيين السوريين عبر القرون.

ولطالما كانت الحرف التقليدية السورية -والدمشقية على وجه الخصوص- سفيرة فوق العادة للهوية والحضارة العربية الإسلامية، وجسراً يربط عراقية الماضي بأفاق الحاضر. إلّا أنّ هذا الإرث الباذخ بات اليوم يقف على حافة جرف هار؛ فخلف بريق «البروكار» ولمعان «الموزاييك» وصوت «النحاسيات» العذب، يختبئ أنينٌ مكتوم وحرقة يعبر عنها المبدعون بمرارة وألم.

إنّ الحرف التقليدية السورية لا تواجه مجرد ركود اقتصادي عابر، بل تعيش أزمة وجودية مركبة وضعت بعضها في حالة احتضار حقيقي، بل أدت ببعضها الآخر إلى الاندثار، وشط مشهد يتسم بغياب الرعاية ومنافسة شرسة غير عادلة.

أولاً- مقصلة التكاليف وأزمة الإنتاج:

لو أردنا تشريح الأزمة من جذورها الحرفية، لوجدنا أنّ المُنتج اليدوي السوري يقع بين فكّي كماشة: ارتفاع تكاليف الإنتاج من جهة، وضعف القدرة الشرائية من جهة أخرى.

فتبرز المشكلة الأساسية في التكلفة العالية نسبياً للمنتج اليدوي؛ حيث ترتفع أسعار المواد الأولية بشكل جنوني، سواء كانت هذه المواد وطنية أو مستوردة وندرة الاستخدام، يضاف إلى ذلك تكلفة الوقت المهدور والأيدي العاملة الماهرة. ولم ترحم السياسات الخدمية



أ . د . عمار محمد النهار

باحث وأكاديمي سوري

متخصص في التاريخ

يعاني القطاع
ضعف القدرة على
التطوير، وغياب
الأهداف المنهجية
والإستراتيجيات
الواضحة، إلى جانب
عدم وجود معايير
معتمدة دقيقة
وحقيقية لجودة
المنتج اليدوي





ومنافسة أسواق الحرف في البلدان المجاورة والأسواق الأجنبية التي تضعف القوة الشرائية للمنتج المحلي. وإذا ما فكر الحرفي بالتصدير، اصطدم بجدار تكلفة النقل بين دول العالم بطريقة الشحن السريع، والتي تعد ذات تكلفة أعلى من قيمة السلعة نفسها!

- الأمية الرقمية والتسويقية: يترافق ذلك مع ضعف الترويج للمنتج اليدوي، وعدم تطوير شبكة تسويق تعمل على مستوى سورية، فضلاً عن عدم الاهتمام بالتغليف والتعليب مما يضعف تنافسيته.

ونقدنا هنا يتوجّه بمראה لغياب التجارة الإلكترونية؛ فلا يوجد موقع إلكتروني متكامل يفي بالغرض، وتغيب خدمات الدفع الإلكتروني في سوريا، وتنعهد الحكومات الإلكترونية والملاحقات القانونية الإلكترونية التي تحمي البائع والشاري.

رابعا- الفجوة الحرفية والجيل الجديد (أزمة التطوير والاستدامة): إنَّ الخطر الأكبر الذي يهدّد ديمومة الحرف هو «انقطاع نسل

مما يستدعي إلغاء التجاوزات وإيجاد آلية مثلى تنظّم هذا القطاع، وبناءً عليه، يغيب الدعم في قضايا الترخيص، وأساليب العرض، والتشبيك، والعلاقات العامة، والاستدامة.

ثالثاً - غزو «الآلة» والمنافسة الخارجية:

لا تتوقف التحديات عند حدود الداخل، بل تتعداها إلى عولمة جائرة سحقت المنتج التقليدي، وتجلّى ذلك فيما يأتي:

- طوفان شرق آسيا والآلة: يواجه المنتج المحلي منافسة حادة ومضاربة في ظل غياب الطابع التنظيمي، تزيدها ضراوة المنافسة الخارجية لاسيما من المنتجات الآتية من الصين وشرق آسيا التي تمتاز برخص ثمنها، ووجود البدائل الأرخص والعمليّة أكثر من الحرف التقليدية، علاوة على ذلك، تقف الآلة منافساً شرساً للعمل اليدوي من حيث غزارة الكم وقلّة الكلفة.

- انحسار الأسواق ومقصلة الشحن: يعاني القطاع عدم توافر أسواق تجارية كافية ومنافذ للوصول للمستهلك،

خاطئة عائقاً أساسياً في ديمومتها. **- غياب التخطيط والبيانات:** يتجلّى غياب التخطيط الفعلي والواقعي في دعم الصناعات الحرفية التقليدية وتنشيطها والاعتماد عليها رافداً حيويّاً للاقتصاد المحلي وتنمية المجتمع، هذا الغياب متبوع بفجوة معلومات ضخمة لدى الجهات القائمة على تنمية هذا القطاع، في ظل غياب مطلق للمعلومات، والإحصاءات، وقواعد البيانات، فضلاً عن أنّ العمل على مسح الحرف التقليدية وتحديدّها وحصرها ما يزال قاصراً عما هو مطلوب منه، وبخاصة في الأرياف والمناطق غير المعروفة التي تحتضن حرفاً تُحتضر وتتطلب كشفاً ورعاية.

- تعدد الجهات وغياب التنسيق: تشتد الأزمة مع غياب أطر الحماية الحقيقية، والافتقار إلى إستراتيجيات داعمة للنشاط الحرفي على مستوى الحكومة تؤمن عيش الحرفيين وتحميهم من الضبابية.

كما أنّ تعدد الجهات الرسمية التي تهتم بالشأن الحرفي وغياب التنسيق بينها أضّر بمسيرة الحرف،



المعرفة الحرفية» بين الأجيال، ويتضح ذلك فيما يأتي:

- قدسية الأدوات ونمطية الفكر: إنَّ من أبرز عوائق التطوير والحدثة لمواكبة روح العصر هي «النمطية التقليدية» القديمة للعمل الحرفي؛ فإذا بقيت على حالها فستؤدي حتماً إلى التعثر.

والمسؤولية هنا تقع جزئياً على الحرفي نفسه؛ فالحرفي الذي يبقى فكره محصوراً في الأطر القديمة سيبقى خراكه ضمن دائرة الضياع، فعليه تطوير نفسه ومواكبة ثورة المعرفة وفق حاجته وحاجة السوق. ويمتد هذا إلى الجمود في الأدوات المستخدمة؛ إذ ما زال الحرفي ينظر بقدسية تامة إلى أدوات أبيه وجده، وهي إن لم تتطور تماشياً مع نهج الحدثة فستظل عائقاً، فضلاً عن غياب مراكز الأبحاث المختصة بالحرف التقليدية في سورية والبلدان العربية والتي تفيد بتقديم النصح والإرشاد.

- جفاف منابع البشرية واستغلال التجار: يعاني القطاع ضعف القدرة على التطوير، وغياب الأهداف المنهجية والإستراتيجيات الواضحة، إلى جانب عدم وجود معايير معتمدة دقيقة وحقيقية لجودة المنتج اليدوي.

والأسوأ من ذلك، هو عدم كفاية برامج التدريب والتأهيل الموجهة لتطوير مهارات الحرفيين، وغياب المشورة والتدريب والدعم التقني التخصصي وافتقار الصناعات للخدمات الاستشارية والخبرات الإدارية والفنية، مما نتج عنه تقلص كفاءة اليد العاملة، وتراجع الجودة، وغياب الابتكار.

- عزوف الأبناء ووجود المجتمع: ينعكس هذا التراجع علمياً واجتماعياً عبر إعراض الجيل الجديد عن المنتجات التقليدية، وعزوف أبناء أصحاب الحرف عن مزاوله حرفة العائلة نتيجة المردود الضئيل، وعدم كفاية أفراد الجيل الثاني لرفد مسيرة الإنتاج.

ومما يدمي القلب، استغلال التجار للحرفيين وجهدهم اليدوي بأجور صغيرة جداً من أجل بيع منتجاتهم لمنفعة التجارة المادية الشخصية. يتزامن هذا مع ندرة النوادي المتخصصة برعاية الفنون والحرف،

إنَّ إنقاذ هذا القطاع يتطلب ثورة تبدأ من الإعفاء الضريبي والجمركي الكامل لهذا القطاع الفني، وتقديم القروض الميسرة طويلة الأمد والمعفاة تماماً من الفوائد لحماية الحرفيين من استغلال التجار. كما يتطلب الأمر التفكير خارج الصندوق عبر إنشاء قرى تراثية ومشروعات إبداعية، وإدخال أدوات العصر الحديث والتجارة الإلكترونية، وتأسيس معاهد تدريبية ومراكز أبحاث متخصصة تضمن نقل الأسرار الحرفية للجيل القادم. إنَّها دعوة برسم الحكومة والمجتمع معاً: إنَّما أن نتحرك فوراً لانتشال حرفنا من غرفة الإنعاش، أو أننا سنقف قريباً لنعرّي أنفسنا بوفاة آخر شاهد حي على عظمة حضارتنا اليدوية.

وعدم تربية الجيل الناشئ على أهمية هذه الحرف وارتباطها بالتاريخ والحضارة العربية الإسلامية، مما أفرز ضعفاً عاماً في الوعي التراثي لدى المجتمع لاقتناء المنتجات التقليدية بسبب التطور الطبيعي في نمط المعيشة.

خاتمة

صرخة قبل فوات الأوان:

إنَّ الحرف التقليدية السورية ليست مجرد سلع تجارية تخضع لقوانين العرض والطلب؛ إنَّها أعمال فنية إبداعية وسلع ثقافية تمثل روح الشعب وجزءاً لا يتجزأ من هويته، والشعوب التي تحترم ثقافتها وتراثها يجب أن تبسط تشريعاتها وقوانينها لخدمة تراثها من أجل المحافظة عليه من الضياع والزوال.

الأزياء التراثية السورية بين الصون والتطوير



الفرق المشاركة أزياء مستوحاة من تراث المحافظات السورية، وقدمت بها لوحات فنية رافقت أداء أغاني الألبوم في الحفل. يرتبط الصون بالحفاظ على المعارف التي قامت عليها صناعة الأزياء التراثية، من الخامات والتقنيات إلى السياق وخبرة الحرفيين، فيما يمنح التطوير هذه المعارف استخدامات وأسواقاً جديدة. ويمكن للمصمم نقل تطريزة أو تقنية تقليدية إلى قطعة معاصرة، مع بقاء الجُزئي جزءاً من العملية، فتستمر المعرفة إلى جانب الشكل الجديد، وتبقى الأصالة صلة حية بين الجذور والحاضر.

هنا تمنح القراءة الأنثروبولوجية للأزياء فهماً أوسع لعلاقة الناس بالعمل والجمال والمجتمع والذاكرة، وتجعل من الثوب سجلاً مصغراً للجغرافيا والعادات والمهارة. وامتد حضور الأزياء التراثية إلى التصميم المعاصر في الإطلالات المرافقة لـ «الألبوم السوري» للفنانة أصالة نصري، والمستلهمة من قُوَّيات المحافظات السورية، عبر التطريز والحلي والصدف والموزاييك وملامح الأثواب التقليدية. وظهرت هذه الأزياء أيضاً في حفل عودة أصالة إلى دمشق، الذي أقيم برعاية وزارة الثقافة في 17 أيلول بصالة الفيحاء، حيث ارتدت

عرفت سوريا عبر تاريخها تنوعاً غنياً في الأزياء، تشكل من تفاعل الإنسان مع بيئته ومواردها وأنماط حياته. وتحمل الأزياء التراثية دلالات اجتماعية وثقافية تظهر في خاماتها وألوانها وتفصيلها وزخارفها وطريقة ارتدائها، وتعكس تنوع البيئات السورية، من المدن والأرياف والبادية إلى الفرات والجزيرة والساحل والجبل. ويأتي التطريز في قلب هذه اللغة البصرية، إذ تحمل ألوانه وودائعها ومواضع زخرفته إشارات ترتبط بالمكان والمناسبة والانتماء، بينما تكشف تقنيات النسيج والخياطة والحلي عن خبرات حرفية انتقلت بين الأجيال. ومن



حِرْفُ سوريّةٌ في قوائم التراث

من زجاجة تتشكل على طرف أنبوب أمام نار الفرن، إلى قالب صابون يُقطع في معمل حلبي، وخشب يُنحت ليصير عوداً؛ تكشف الحرف السورية عن علاقة طويلة بين الناس ومواد بيئتهم وحاجاتهم اليومية. في الورشات والبيوت والأسواق تحولت هذه الخبرات إلى معارف تتناقلها الأجيال، حتى غدت الحرفة جزءاً من ذاكرة المكان وهويته. ولهذا تُعد الحرف أحد مجالات التراث الثقافي اللامادي، ويعني صونها أن تستمر ممارستها وأن تنتقل خبراتها ومهاراتها إلى أجيال جديدة.

الممارسات والحرف المرتبطة بالوردة الشامية في المراح - 2019

في قرية المراح بمنطقة القلمون في ريف دمشق، يبدأ مع أيار موسم الوردة الشامية؛ إذ تخرج العائلات إلى القطاف منذ الصباح، ثم تنتقل الورود إلى التجفيف والتقطير وصناعة ماء الورد والمربيات والشراب. وعلى امتداد الموسم، تتداخل الحرفة مع حياة القرية وعاداتها، حتى أصبحت الوردة جزءاً من ذاكرة المكان مثلما هي محصول من أرضه.

الزجاج السوري المنفوخ 2023

بين النار والنفس تتشكل واحدة من أعرق الحرف السورية. عُرفت صناعة الزجاج في دمشق وحلب، وحافظت أرمناز في ريف إدلب على تقاليدها. يُعرف الجُزفي متى يلين الزجاج، وكما يحتاج من النفخ والدوران حتى يأخذ شكله؛ معرفة اكتسبتها الأيدي في الورشات وتناقلتها الأجيال.





الثقافي اللامادي لليونسكو

الكحل العربي - 2025

احتفظت «المكحلة» بمكانها بين مقتنيات البيوت السورية، من المدن إلى الريف والبادية. تختلف وصفات الكحل وطرائق تحضيره باختلاف البيئة، فيما انتقلت معرفة صنعه واستعماله بين النساء. لذلك حمل الكحل إلى جانب وظيفته الجمالية جانباً من عادات الناس وطرائق عنايتهم بأنفسهم.

البشت «العباءة الرجالية» - 2025

يحضر البشت في المناسبات والمجالس لباساً يحمل معنى يتجاوز شكله. وراءه عمل طويل يبدأ بالنسيج والقص والخياطة، ويمتد إلى تطريز الحواف وزخرفتها بخيوط دقيقة. وتختلف تفاصيله من بيئة إلى أخرى، كما تختلف دلالات ارتدائه باختلاف المناسبة والمكانة والعرف.

صناعة العود والعزف عليه - 2022

للعود حكايتان لا تنفصلان.. حكاية الصانع وحكاية العازف. في الورشة يُختار الخشب ويجفف ويشكل ويزخرف حتى تكتمل الآلة، ثم تبدأ حياة أخرى لها بين يدي الموسيقي. وعرفت دمشق وحلب تقاليد راسخة في صناعة العود، حيث توارث الحرفيون معرفة الخشب والصوت ودقة الصنعة.

صناعة صابون الغار الحلبي - 2024

من حلب أخذ صابون الغار اسمه وشهرته، وفي معاملها توارثت عائلات كثيرة أسرار صناعته. يُطبخ زيت الزيتون والغار في الشتاء، ثم يُصب المزيج ويقطع ويُختم ويرص في أبراج حتى يكتمل جفافه بعد أشهر. وفي كل مرحلة معرفة بالزيت والنار والوقت لا تُكتسب إلا بطول الخبرة.

أ. د. مازن المبارك

سيرة عالم عاش العربية محبةً ورسالةً

عالمٌ دمشقي عاش العربية محبةً ورسالةً، ورأى في فهمها حفظاً لذاكرة الأمة وصوناً لصلتها بتاريخها، وجسد هذه الرؤية في التعليم والتأليف والتحقيق والعمل اللغوي المؤسسي.

«اللغة صفة الأمة في الفرد، وآية الانتماء إلى القوم؛ فمن أضاع لغته فقد نسبه، وأضاع تاريخه».

تفتح هذه الكلمات باباً إلى فهم رؤية مازن المبارك للعربية، فقد رآها صلةً تصل الإنسان بأمتة، وذاكرةً تحفظ له مكانه ومكانته في التاريخ، ومنها انطلقت محبته للغة وخدمته لها في التعليم والتأليف والتحقيق، فاللغة في فكره حضور الأمة في الفرد، تحمل إليه ميراثها، وتمنحه القدرة على إدراك ذاتها والتعبير عنها، وتصل يومه بما راكمته الأجيال من علم وأدب وقيم.

ومن هذه الرؤية جاء اهتمامه بما سماه «الوعي اللغوي»؛ فالوعي باللغة عنده معرفةً بمكانها في تكوين الإنسان، وإدراكاً لأثرها في الفكر والسلوك والانتماء، وقد عبّر عن ذلك بقوله: «لا يبلغ الوعي السياسي ولا الوعي القومي مداهما ما لم يقتربا بوعي لغوي سليم». وتكشف العبارة اتساع نظريته؛ إذ تنتقل العربية فيها من سلامة اللسان إلى سلامة الصلة بين الإنسان وتاريخه ومجتمعه، ومن قواعد تدريس إلى قوة تشارك في تشكيل الوعي العام.

التعليم صلةً مباشرةً بأسئلة العربية في الاستعمال والمناهج؛ فاشتغل على تقريب النحو، ومكانة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، وقدرتها على حمل المعرفة الحديثة. وكان يؤمن بأن «اللغة فكرٌ يوجّه السلوك»؛ لذلك كان تعليمها عنده بناءً لقدرة الإنسان على الفهم والتعبير، وتكويناً لعلاقته بثقافته. ومن هنا جاء كتابه «نحو وعي لغوي» عنواناً دالاً على مشروعه كله؛ مشروع يجمع معرفة أصول العربية بالسؤال عن مكانها في الحاضر، ويصل صحة التعبير بوضوح الفكر ووعي الإنسان بذاته ومجتمعه. وفي مقالته «التجديد في

ودراسة كتاب «الإيضاح في علل النحو» للزجاجي، والدكتوراه سنة 1960 عن الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه.

ومنذ هذين العمليين اتضحت طريقته في التعامل مع التراث.. قراءة تضبط النص، وتفهم منطق، وتعيده إلى حركة المعرفة. عاد إلى جامعة دمشق، وتدرّج في مراتبها حتى أصبح أستاذاً لعلوم اللغة العربية سنة 1971، ثم اتسعت تجربته في جامعات عربية عدة.

وأدار مدرسة تعليم الأجانب اللغة العربية في جامعة دمشق منذ تأسيسها حتى عام 1965. وقد منحه

وُلد مازن عبد القادر المبارك في حي العمارة بدمشق سنة 1930، في بيت ارتبط بالعلم واللغة. كان والده الشيخ عبد القادر المبارك من علماء العربية، ثم تولى أخوه محمد المبارك رعايته بعد وفاة الأب. وفي هذه البيئة دخلت العربية وجدانه قبل أن تصبح ميداناً تخصصه؛ فتلقاها ميراثاً حياً، ثم مضى إلى درسها بعقل الباحث ودقة المحقق.

تخرّج في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق سنة 1952، وبدأ التدريس في ثانويات دمشق ودار المعلمين، ثم انتقل إلى جامعة القاهرة، فنال الماجستير سنة 1957 عن تحقيق





قواعد العربية ومناهجها» كتب مازن المبارك:
«التجديد ليس غايةً في نفسه، بل هو أمر يراد به الوصولُ
إلى تغيير واقع لا نرضى عنه، أو إلى نتيجة نسعى إلى
بلوغها»، فالتجديد عنده فعلٌ تحكمه الغاية، وتُقاس
قيمته بما يحققه من إصلاح في الفهم والتعليم
والاستعمال.

ومن هذا الميزان جمع في آثاره بين تحقيق
كتب الرّجّاجي وابن هشام وابن جني، والبحث
في النحو والبلاغة ومناهج العربية؛ فكان
التراث لديه معرفةً حيّةً تتجدد بالتحقيق
والفهم، وكان التجديد امتداداً واعياً لها،
يصل أصول اللغة بحاجات عصرها.
وفي مجمع اللغة العربية بدمشق
اكتسب مشروعه بُعداً مؤسسياً؛ فقد
انتُخب عضواً مراسلاً سنة 2002،
ثم عضواً عاملاً سنة 2006، وترأس
لجاناً لغوية ومعجمية، وشارك في
مجلة المجمع والمعجم التاريخي.
كما وثّق ذاكرة المؤسسة في كتابيه
«مجمع اللغة العربية بدمشق.. تعريف
تاريخي» و«المجمعيون الأوائل»،
فجمع بين خدمة اللغة وحفظ
سيرة الذين حملوا رسالتها قبله.
توزعت مؤلفاته بين النحو
وبلاغة والتحقيق والوعي
اللغوي وتاريخ المجمع، واجتمعت
في الفكرة التي ظل يعود إليها: العربية سجلٌ
تاريخ، ونظام ثقافة، ورابطة انتماء. وفي عام
2025 نال جائزة مجمع الملك سلمان العالمي
للغة العربية، تقديرًا لمسيرة طويلة في خدمتها
ونشر الوعي بها.

**وكانت «مجلة الشام» قد سعت، قبيل رحيله، إلى
إجراء حوارٍ معه يستعيد محطات من سيرته العلمية
وتجربته في خدمة العربية، غير أن ظروفه الصحية حالت
دون إتمامه.**

رحل مازن المبارك في دمشق في الخامس والعشرين
من تموز 2026، ليبقى أثره حاضراً في كتبه وتلامذته
وأبحاثه، شاهداً على سيرة عالمٍ عاش العربية
محبةً ورسالةً، حمل محبتها من البيت
الدمشقي، وجسّد رسالتها في قاعة
الدرس والجامعة والكتاب والعمل
اللغوي المؤسسي، وحين قال:
إن من أضع لغته أضع تاريخه،
كان يضع أمام الأجيال خلاصة
رؤيته أنّ اللغة ذاكرة الأمة،
ورابطة أبنائها بتاريخهم،
وطريقها إلى المستقبل.

الشيخ محمد عيد العباسي

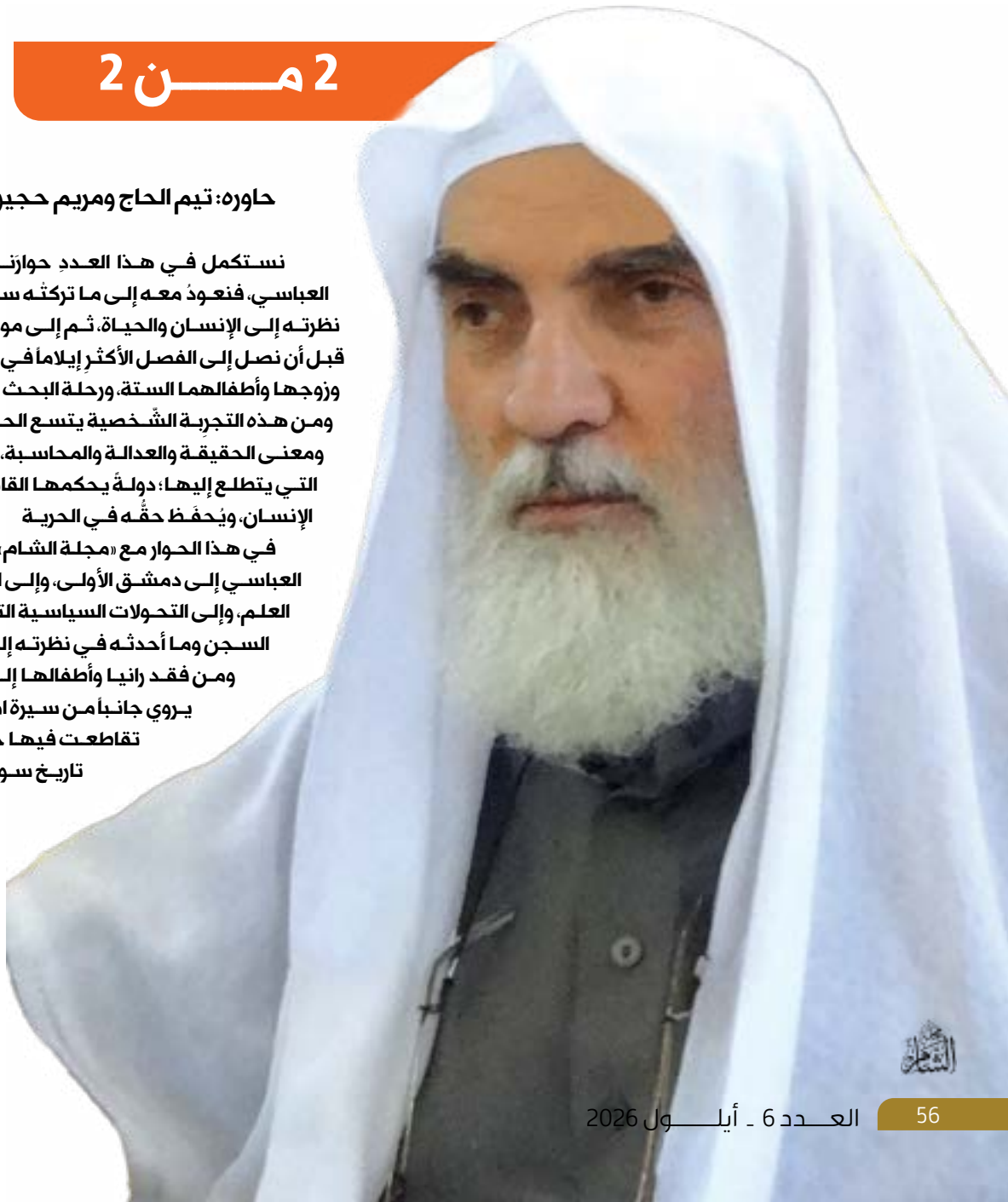
تسعة عقود بين العلم والسجن والفقد

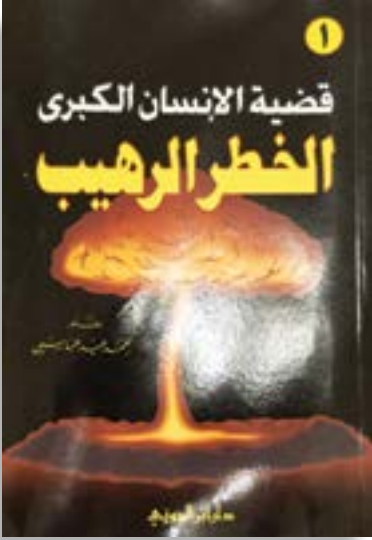
2 من 2

حاوره: تيم الحاج ومريم حجير

نستكمل في هذا العدد حوارنا مع الشيخ محمد عيد العباسي، فنعود معه إلى ما تركته سنوات السجن من أثر في نظريته إلى الإنسان والحياة، ثم إلى موقفه من الثورة السورية، قبل أن نصل إلى الفصل الأكثر إبلاماً في سيرته: اعتقال ابنته رانيا وزوجها وأطفالهما الستة، ورحلة البحث التي امتدت أعواماً طويلة. ومن هذه التجربة الشخصية يتسع الحوار إلى ملف المفقودين، ومعنى الحقيقة والعدالة والمحاسبة، وصولاً إلى رؤيته لسوريا التي يتطلع إليها: دولة يحكمها القانون، وتُصان فيها كرامة الإنسان، ويحفظ حقّه في الحرية

في هذا الحوار مع «مجلة الشام»، يعود الشيخ محمد عيد العباسي إلى دمشق الأولى، وإلى العلماء والمدارس ورحلات العلم، وإلى التحولات السياسية التي عبرتها سوريا، ثم إلى السجن وما أحدثه في نظريته إلى الإنسان والقرار والصبر، ومن فقد رانيا وأطفالها إلى الثورة وسقوط النظام، يروي جانباً من سيرة امتدت نحو تسعة عقود، تقاطعت فيها حياته الشخصية مراراً مع تاريخ سوريا الحديث.





في حياتي؛ بما تركته من ذكريات ومراجعات، وبالعلاقات التي نشأت بيننا في تلك الظروف، وبالأشخاص الذين عشت معهم تلك التجربة وما شهدناه فيها.

ثم جاءت الثورة السورية عام 2011 بالنسبة إلى رجل عرف أجهزته الدولة وسجونها منذ الثمانينيات، ماذا كان يعني خروج الناس إلى الشارع؟

كنت أعرف جيداً طبيعة هذا النظام، فقد اختبرت ذلك بنفسي في السجن سنوات طويلة. ولهذا، عندما بدأت الثورة وخرج الناس مطالبين بالحرية والكرامة، كان موقفي واضحاً منذ البداية؛ وقفت معها وأعلنت تأييدي الكامل لها.

ما جرى لم يكن منفصلاً عما عاشه السوريون طوال العقود السابقة. كان هناك تاريخ طويل من التعذيب والقمع، وما رأيناه في الثمانينيات داخل السجون والأقضية عاد ليظهر مع الثورة على نطاق أوسع وأمام الناس والكاميرات. وأهم ما حدث في تلك اللحظة أن حاجز الخوف الذي عاش السوريون خلفه سنوات طويلة بدأ ينكسر.

ولم يقتصر موقفي على التأييد، فعندما بدأت الجهود لتأسيس المجلس الإسلامي السوري، شاركت فيها وانضمت إلى المجلس، وكانت لنا اجتماعات في تركيا مع عددٍ من



وتابع الأستاذ هيثم المالح لاحقاً قضية حقوقي، واستطاع أن يثبت لزوجتي حقاً في نسبة من المعاش التقاعدي، وإن لم يكن معاشاً كاملاً. بقيت في سوريا نحو سنتين بعد الإفراج، ثم عدت إلى السعودية، وعملت في المدارس الأهلية؛ في مدارس الرواد ثم مدارس بدر، وبقيت هناك نحو عشر سنوات. وبعد ذلك تركت العمل الوظيفي وتفرغت للنشاط العلمي والدعوي.

لكن سنوات السجن بقيت حاضرة

في الاختفاء لا تملك حقيقة تبني عليها حياتك. لا تستطيع أن تقول إن الإنسان موجود فتنتظره، ولا أن تعرف أنه مات فتحزن عليه وتودعه. تبقى معلقاً في فراغ لا ينتهي

وماذا غيرت فيكم هذه السنوات؟
كان السجن بالنسبة إلى كثير منا نقطة تحول.
قبل السجن كانت العاطفة والحماسة تقود بعض التصرفات أكثر مما ينبغي، وبعد هذه الصدمة أصبحنا أكثر تفكيراً وتحكيمياً للعقل. العاطفة مهمة، ونحتاج إليها بعد اتخاذ القرار الصحيح، لكنها وحدها لا تكفي.
وكنتم أستحضر قول المتنبي:

الزأى قبل شجاعة الشجعان
هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني
أصبحت أرى أن تغيير مجتمع أو إقامة دولة ليس أمراً يقوم على الرغبة والحماسة وحدهما؛ بل يحتاج إلى دراسة وتفكير ووعي، ومعرفة قدراتك وقدرات خصمك، وفهم الظروف الداخلية والدولية.

وكانت تدور في السجن مناقشات كثيرة عن التجربة نفسها؛ لماذا وصلنا إلى هنا؟ وما الأخطاء التي وقعت؟ بعض الإخوة كان يرى أنه لم يكن هناك خطأ، وبعضهم كان أكثر استعداداً للمراجعة والاعتراف بالأخطاء.

وكان للسجن أثر إيماني أيضاً. الإنسان يقرأ عن العذاب، لكن «ليس الخبر كالمعاينة». عندما رأينا صورة مصغرة جداً من العذاب، أصبحت هذه المعاني أشدَّ حضوراً في النفس، وزاد الحرص على التقوى والطاعة والابتعاد عن المعصية.

خرجت من السجن أكثر وعياً بأن العاطفة تحتاج إلى عقل، وأن القرارات الكبيرة تحتاج إلى دراسة للقدرات والظروف والنتائج.

وبعد أكثر من ثلاثة عشر عاماً، كيف كانت العودة إلى الحياة؟

خرجت في أواخر عام 1992، لكن آثار السجن لم تنتهِ عند خروجي منه. راجعت وزارة التربية للعودة إلى عملي، فأعطوني كتاباً لمراجعة المخابرات. فذهبت إليهم، فسلموني كتاباً مغلقاً وأعادوني به إلى الوزارة، وهناك علمت أنهم فصلوني من عملي؛ فحرموني النظام البائد من راتبي التقاعدي، وسلبني حقوقي المدنية والسياسية.



إلى منزلهم في مشروع دمر واعتقلت عبد الرحمن. وفي اليوم التالي عادت وأخذت أموالاً ومصاعاً وسيارات ووثائق تتعلق بممتلكاتهم وعبادة رانيا. وفي الحادي عشر من آذار اعتُقلت رانيا مع أطفالها الستة، واختفت أيضاً سكرتيرتها مجدولين القاضي. ومنذ ذلك الوقت انقطع الخبر.

كنت أعرف معنى الاعتقال من تجربتي الشخصية، لكن الأمر اختلف هذه المرة. عندما كنت في السجن كانت أسرتي في الخارج تبحث عني ولا تعرف مصيري، وبعد سنوات أصبحت أنا في الخارج أبحث عن ابنتي وأحفادي ولا أعرف أين هم.

وهنا تدرك أن الاختفاء أمر شديد القسوة، فكل يوم يحمل أملاً سرعان ما يتحول إلى ألم ممتد يشمل الأسرة كلها. يتوقف الزمن عند لحظة الغياب، وتصبح الأيام مجرد انتظار ثقيل بلا خبر. وحتى التفاصيل الصغيرة في الحياة اليومية تغدو مشوبة بالقلق: هاتف قد يرن ولا يُجاب، باب قد يُطرق ولا يعود خلفه أحد، وذكرة لا تكف عن تكرار السؤال نفسه دون أن تجد له نهاية.

وكيف عاشت الأسرة ثلاثة عشر عاماً من هذا الانتظار؟

المشكلة في الاختفاء أنك لا تملك حقيقة تبني عليها حياتك. لا تستطيع أن تقول إن الإنسان موجود فتنظره،

وكيف تعيد أباها إلى البيت. كبرت رانيا، ودرست طب الأسنان، وتزوجت من عبد الرحمن ياسين، وأنجبا ستة أطفال: ديمة، وانتصار، ونجاح، وآلاء، وأحمد، وليان. بنت حياتها وأسرتها، لكن السجن الذي كان جزءاً من طفولتها عاد بعد سنوات ليدخل حياة أسرتها هي.

كيف بدأت قصة اختفائهم؟

في التاسع من آذار عام 2013 جاءت قوة من المخابرات العسكرية

العلماء والشخصيات السورية، من بينهم الأستاذ هيثم المالح. كما زرت مناطق الشمال المحرر أكثر من مرة في تلك المدة، والتقيت عدداً من قادة الجيش الحر آنذاك. ومع امتداد السنوات وتعقد المشهد، كنت أرى أن الثورة، مثل أي تجربة بشرية كبيرة، تحتاج دائماً إلى المراجعة.

رانيا عاشت طفولتها ووالدها في السجن، ثم أصبحت هي وأسرتها في عداد المفقودين. حين تعودون إليها قبل عام 2013، أخبرنا عن رانيا أكثر؟

رانيا ابنتي، قبل أن تكون اسماً في قضية المفقودين. كانت طبيبة أسنان، ومنذ صغرها برزت في الشطرنج حتى أصبحت بطلة لسوريا ومثلت البلد في بطولات.

لكن طفولتها كانت مرتبطة أيضاً بغيابي. عاشت سنوات وأنا في المعتقل، وكانت الأسرة في ذلك الوقت تجهل مصيري إلى درجة أنها ظنت في مرحلة أنني توفيت. ومن المواقف التي بقيت في ذاكرتنا أن رانيا، عندما تفوقت في إحدى بطولات الشطرنج، فكرت في أن تستفيد من هذا التفوق للوصول إلى حافظ الأسد وتطلب منه الإفراج عن والدها.

هذه الحادثة بقيت معي، لأن طفلة كان يفترض أن يكون انشغالها بفوزها ومستقبلها، كانت تفكر في السجن

سوريا التي أتمنى أن أراها، هي دولة لا يخاف فيها المواطن من الدولة؛ يعرف فيها الإنسان أنه إذا اختلف عبر عن رأيه، وإذا اتهم وقف أمام قاضٍ





ولا أن تعرف أنه مات فتحزن عليه وتودعه. تبقى بين الاحتمالين، وكأنك معلق في فراغ لا ينتهي.

كنا نتابع كل خبر وكل اسم يخرج من السجون، ونبحث في كل معلومة ممكنة، كأننا نطارد أثراً يثبت أن الغياب لم يتلهم تماماً. وكل خبر عن أطفال مجهولي الهوية كان يعيد الأمل والخوف معاً.

ومع مرور السنوات لم نعد نحسب الأيام، بل ما فقدناه داخلها. كنا نتخيل الأطفال يكبرون بعيداً عنا، ونخاف أن يمحي اسمهم من ذاكرتهم ثلاثة عشر عاماً لم تكن مجرد زمن مضى؛ كانت حياة معلقة عند لحظة واحدة، والانتظار فيها صار هو شكل الحياة الوحيد الممكن.

حين سقط نظام الأسد في 8 كانون الأول 2024 وفتحت السجون، ماذا حدث للأمل الذي بقي معكم كل تلك السنوات؟

كان الأمل كبيراً. كل باب سجن يُفتح، وكل معتقل يخرج، كان يعني أن عائلة استعادت أحد أبنائها، لكنه كان يفتح أيضاً باب الأمل لعائلات أخرى ما تزال تبحث.

تابعنا الصور والأسماء مثل بقية عائلات المفقودين. ظهر أكثر من احتمال، وأحياناً كنا نرى شبحاً في وجه طفل أو شاب فنعود إلى البحث، ثم يأتي التحقيق أو فحص الحمض النووي لينفي ما تعلقنا به.

بالنسبة إليّ كان سقوط النظام لحظة كبيرة في حياتي أيضاً. عشت في سوريا قبل حكم البعث، وعرفت السجون في عهد حافظ الأسد، ثم رأيت ما حدث في عهد بشار الأسد، إلى أن رأيت النظام الذي حكم البلاد كل تلك العقود يسقط.

لكننا، كعائلة لديها مفقودون، اكتشفنا سريعاً أن سقوط النظام لا يعني أن القصة انتهت. بالنسبة إلينا كان يعني أن باب البحث الحقيقي قد فتح أخيراً.

وبعد ثلاثة عشر عاماً من البحث، ماذا عرفتكم عن مصير الأطفال، وماذا بقي بالنسبة إليكم من معنى العدالة؟

دون حقيقة كان قاسياً أيضاً. سنوات ونحن لا نعرف: هل ننتظر عودتهم، أم أنهم لن يعودوا؟ وحين عرفت الأسرة ما جرى للأطفال انتهى سؤال، لكن أسئلة أخرى بقيت مفتوحة.

ما زلنا نريد أن نعرف الحقيقة الكاملة بشأن ما جرى لرائيا وعبد الرحمن ومجدولين، وأن نصل إلى الرفات، وأن نعرف من أصدر الأوامر، ومن اعتقل، ومن نقل، ومن قتل، ومن أخفى الأدلة، ومن نهب الممتلكات. لهذا أرى أن العدالة ليست انتقاماً. العدالة أن تصل الحقيقة إلى أهل الضحية، وأن تكون هناك محاسبة أمام القضاء، وأن نعرف سلسلة المسؤولية كاملة.

لا يكفي أن نحاسب المنفذ ونترك من صنع المنظومة وأدارها، وفي الوقت نفسه لا يجوز أن يتحول حق الضحايا إلى انتقام من أشخاص بسبب طائفتهم أو منطقهم أو عائلاتهم؛ لأننا

أما مصير أطفال رائيا، فقد وصلنا إليه من خلال بحثنا ومتابعتنا نحن العائلة، ولا سيما الجهود التي بذلها ابني حسان. كان حسان على تواصل مع الباحثة أنصار شحود والباحث دمر سليمان، اللذين كانت لديهم مواد مصورة تتعلق بالقضية. وقد أحيل الفيديو على الجهة الدولية المستقلة المعنية بالتحقيق، ثم تواصلت هذه الجهة معنا وأتاحت لنا مشاهدته.

ومن خلال هذا المسار، وبعد ثلاثة عشر عاماً من البحث والانتظار، عرفنا مصير أطفال رائيا الستة. وكشفت المواد والتحقيقات المرتبطة بالقضية أن أمجد يوسف كان أحد المشاركين في قتلهم ضمن مجموعة متورطة في الجريمة. وكانت معرفة مصيرهم اللحظة التي انتهت فيها الأمل الذي ظلت العائلة متمسكة به طوال تلك السنوات.

معرفة الحقيقة قاسية، لكن البقاء

تعلمت خلال هذه الحياة أن الحرية نعمة، لكنها تحتاج إلى وعي ومسؤولية، وأن العاطفة وحدها لا تكفي، وأن الظلم إذا تُرك في بدايته فيمكن أن يكبر حتى يدخل كل بيت. عشت طالباً في مدارس دمشق، ومدرباً في مناطق سورية مختلفة، وجلست مع علماء اختلفت مدارسهم وأفكارهم، ثم دخلت السجن أكثر من اثني عشر عاماً، وخرجت وعدت إلى التعليم والحياة، وبعد سنوات رأيت ابنتي وأحفادي يدخلون في الغياب نفسه الذي عرفته من قبل. لكنني لا أريد أن تُختصر حياتي في السجن، كما لا أريد أن تُختصر رانيا في اعتقالها.

أرجو أن أنكر معلماً حاول أن ينقل ما تعلمه، وأن تُذكر رانيا طبيبة وبطلة شطرنج وأماً، وأن يُذكر عبد الرحمن زوجاً وأباً، وأن يُذكر أطفالهما بأسمائهم: ديمة، وانتصار، ونجاح، وآلاء، وأحمد، وليان؛ أطفالاً كانت لهم حياتهم وأحلامهم قبل أن تصبح أسماؤهم جزءاً من قضية المفقودين.

الجريمة تستطيع أن تأخذ حياة الإنسان، لكن يجب ألا نسمح لها بأن تأخذ ذاكرته أيضاً. أما سوريا التي أتمنى أن أراها، فهي دولة لا يخاف فيها المواطن من الدولة؛ يعرف فيها الإنسان أنه إذا اختلف عبّر عن رأيه، وإذا اتهم وقف أمام قاضٍ، وإذا اعتُقل عرفت أسرته أين هو، وإذا ظلم وجد طريقاً يطالب من خلاله بحقه.

رأيت سوريا في مراحل كثيرة من حياتي، ورأيت كيف يمكن أن يصبح الخوف جزءاً من حياة الناس عندما يكون فرد أو حزب أو عائلة أكبر من الدولة.

ما نحتاج إليه هو أن تصبح الحرية التي دفع السوريون ثمنها قانوناً ومؤسسات، وأن تكون كرامة الإنسان جزءاً من طريقة عمل الدولة.

وإذا استطاع الجيل الجديد أن يبني دولة لا يختفي فيها إنسان، ولا تنتظر فيها أسرة سنوات لتعرف مصير أبنائها، فهذه هي سوريا التي أتمنى أن يراها من يأتي بعدنا.



إذا كان هناك درس أراه بعد كل هذه السنوات، فهو أن سوريا تحتاج إلى دولة قوية بمؤسساتها وقانونها، وأن يستطيع المواطن أن يختلف مع غيره ومع السلطة دون أن يتحول اختلافه إلى سبب للخوف أو الاعتقال أو الاختفاء.

بعد هذه الرحلة كلها، ماذا تريدون أن يبقى من سيرتكم، وماذا تتمنون لسوريا التي تبدأ اليوم مرحلة جديدة؟

الحرية نعمة، لكنها تحتاج إلى وعي ومسؤولية، والعاطفة وحدها لا تكفي، والظلم إذا تُرك في بدايته فيمكن أن يكبر حتى يدخل كل بيت

عندها نكون قد صنعنا ظلاماً جديداً. وسوريا تحتاج إلى قضاء مستقل، وإلى أدلة ومحاكمات، وإلى أن تتمكن الأسر من معرفة مصير أبنائها واستعادة رفاتهم ودفنهم بكرامة. أما التسامح الشخصي فهو حق لصاحب الحق، لكنه لا يلغي حق المجتمع في محاسبة من ارتكب جرائم عامة.

قضية رانيا وأطفالها أصبحت معروفة، لكن خلفها آلاف العائلات التي ما تزال تبحث. ماذا تقول لكم تجربتكم عن هذا الملف، وعن سوريا التي ينبغي ألا تعود إلى ما كانت عليه؟

إذا ساعدت قضية رانيا في فتح ملف المفقودين كلهم، فهذا جزء من الوفاء لها ولأطفالها. هناك آلاف الأسر التي لم يعرف الناس أسماء أبنائها، ولم تصل صورهم إلى الإعلام، لكنها عاشت الانتظار نفسه وما تزال تحمل السؤال نفسه.

كل أم لها الحق في أن تعرف أين ابنها، وكل أب له الحق في أن يعرف ماذا حدث لابنته. الاسم المعروف والمفقود الذي لم يسمع به أحد لهما الحق نفسه في الحقيقة.

ولهذا لا يمكن أن يبقى هذا الملف معتمداً على بحث كل عائلة بمفردها. فهو يحتاج إلى عمل مؤسسي: حفظ الوثائق، وحماية المقابر ومواقع الأدلة، وجمع عينات الحمض النووي، والاستماع إلى الشهود، وربط عمل القضاء بالطب الشرعي والجهات المختصة وعائلات الضحايا. فالمفقود ليس رقماً؛ ف وراء كل اسم أسرة تنتظر جواباً.

وعندما أنظر إلى حياتي كلها، من سوريا التي عرفت قبل عام 1963 إلى ما جرى بعد ذلك، أرى أن من أهم ما ينبغي ألا يتكرر هو أن يصبح شخص أو حزب أو عائلة أكبر من الدولة.

الأمر لا يحدث دفعة واحدة. تبدأ المسألة عندما يضعف القانون، ويصبح الولاء أهم من الكفاءة، ويصبح ممكناً أن يطبق القانون على شخص ولا يطبق على آخر، ثم تتسع الدائرة إلى أن تصل إلى دولة تستطيع أن تأخذ إنساناً من منزله ولا تخبر أهله أين هو.



مدرستي

المجدُّ يُنيرُ بأيدينا ... بينَ الكتبِ
والفجرِ يلوخُ بوادينا ... فجرُ العربِ
من طيفِك يا وجّه البدرِ ... يا مدرستي
أتلّقُ أنباءَ السحرِ ... كلّ السّنةِ
أعلّمُ فيك الألقا ... فمّا فنّا
وأراك القلبَ المُشتاقا ... أحلى دنيّا
مدرستي يا روضَ الأنسِ ... جئنا نشدو
في الثلجِ وفي نورِ الشمسِ ... ألّهو أعِدو
قالَتْ مدرستي يا ولدي ... أنتَ الزهرُ
إنْ أشرقَ وجهُكَ في البلادِ ... فاحْ العِطرُ
سأظلُّ على دربِ المنهلِ ... أسقي الدّربا
أشدُّو لزهورِ المُستقبلِ ... لحناً عذباً



قصيدة من أدب الطفل

للشاعر

مصطفى عبد الفتاح

يُصنّف هذا النص في نصوص أدب الطفل، وهل هناك أسمى من أدب يُكتب للطفل، وهو نص للشاعر السوري المبدع مصطفى عبد الفتاح الذي وافاه الأجل في زلزال شباط عام 2023، ولكن ما تركه بيننا من أدب موجه للطفل كان كفيلاً بأن يُذكر لسنوات وعقود.

يقف الشاعر في هذا النص أمام فكرة الانتماء، الانتماء الثاني أو الثالث ربما في حياة الطفل، فبعد انتمائه إلى أسرته ووطنه، تتوجّه مشاعر الطفل للانتماء إلى مدرسته التي هي بيته الثاني والمكان الذي يتعلّم فيها الأخلاق الحميدة؛ فهي روض الأنس التي يشدو ويغني بها، وهي أحلى ما في هذه الدنيا، وهي التي تحضن هذا الطفل وتصفه بأجمل الصفات في استعارة مكنية جعل فيها الشاعر المدرسة أمّاً حقيقيةً تنادي الطفل وتحثّه بأعذب الكلام وأجمله.

يؤسس هذا النص للشاعر الراحل مصطفى عبد الفتاح ثقافة طفلٍ حقيقيةً، ويبني في قلب الطفل فكرة الانتماء إلى مكان التعلّم، ومكان بناء الإنسان الحقيقي.

ذاكرة تحترق

قال لي والدي: حين كنتُ بِعُمْرِكَ
كَانَ الْفَرَاتُ إِذَا فَاضَ دُجُبًا
تَطَوَّفُ الْقَرْىَ وَالْمَدِينَةَ حَتَّى يُرَى أَهْلُهَا
عَلَى مَا تَبَقَّى مِنَ الْأَسْطِجِ الْعَالِيَاتِ
أَكْفًا تَلَوُّهُمُ لِلظَّلَائِرَاتِ
إِذَا عَبَرَتْ ذَاتُ حِطٍّ وَشَاهَدَتْ الضَّقَّتَيْنِ / الْمَدَى
فِي مَهَبِّ الْعَدَمِ!

رُبَّمَا كَانَ مِنْ خَجَلِ الْأَبِ
أَلَّا يَقُولَ لِأَبْنَائِهِ وَاقِعَ الْحَالِ
أَوْ فَلَنْقُلْ إِنَّهُ -أَدَبًا- لَمْ يَقُلْ كُلَّ مَا قَدْ رَأَى
يَوْمَ كَانَ الْفَرَاتُ يُشَمِّرُ عَنْ مَائِهِ ضَقَّتِيهِ
وَبِرْكُضٍ بَيْنَ حُقُولِ النَّخِيلِ
يَشُدُّ الْمَدِينَةَ مِنْ شَعْرِهَا
وَيُقْبِلُهَا تَحْتَ مَرَأَى الْقَرْىِ
وَيَنَادِي بِأَعْنَفٍ مَا اسْطِغَاعَ مِنْ مَائِهِ: لَا نَدَمُ!

مُؤَلِّمٌ
أَنْتَنِي لَنْ أُحَدِّثَ أَوْلَادِي الْقَادِمِينَ
بَلَا خَجَلٍ مِثْلَمَا أَشْتَهِي!
أَقُولُ لَهُمْ إِنِّي كُنْتُ حِينَ تَرَمَلَتِ الْمَدُنُ النَّائِمَاتُ
عَلَى الضَّقَّتَيْنِ وَشَابَ النَّخِيلُ؟
بلى
مُؤَلِّمٌ أَنْتَنِي إِنْ بَقِيَتْ بِرْغَمِ الْخُرُوبِ
عَلَى قَيْدِ خُلْمِي وَصِرْتُ بِعُمْرِ أَبِي
رُبَّمَا أَكْتَفِي إِذْ أَقُولُ حِكَايَاتِهِ ذَاتَهَا
فَهِيَ حُبٌّ عَظِيمٌ
وَفِيهَا الْفَرَاتُ فَتَى طَائِشِ الْمَاءِ
مَا فَاضَ دَمْعًا
وَلَا فَاضَ دَمًا!



الشاعر

عزت سيد صالح

سيرة نهر

على ضفافك صوتٌ موجعٌ وصدى
يُذكي الحنينَ ويوهي الصبر والجلد
قد فاضَ حزنُكَ في عينيِّ فانكسرتُ
مرأةً روحِي وصارَ الحزنُ معتقداً
تمسّدتُ كفّك للنخل العتيق وكم
من ضفتيك انبتُ فنافي الظلام هُدى
أتيتُ ماءك ظمأً لأوبي وجِلْ
لكنِّي لم أجِدْ عُوناً ولا سَنَداً
والجسرُ يسألُ: هل ما زلتَ تذكرني؟
فقد أضعتُ بهذا الماءِ لي جسداً
وماؤك اليومُ حزنٌ لا ضفافَ له
يمضي وديداً إلى مَنْفاهِ مُنفرداً
ابسطْ يديك ففيها اللورى أَمَلٌ
والأرضُ تعرفُ من بالوصلِ قَد وَعدا
يا أيُّها النهرُ ما في التّيهِ من وطنٍ
شوقي نبيُّ على شطّيك قد سَجدا
لا الريحُ تُدرِكُ ما تُخفيه من قَلْبٍ
ولا الضفافُ التي تنسى هُنا الشهدا
فكم شريدٍ على كَفّيك قد نَزفتُ
أمالهُ فَمَضَى في التّيهِ مُضطهداً
كأنّما الشوقُ مجذافٌ لرحلتنا
نغفو ونصحو على أطرافه زَبداً
كم عانقَ الماءُ أجساداً وأدعيةً
كأنّها الريحُ تأبى أن تمرّ سدى
أنا البعيدُ وهذا القلبُ منكسرٌ
والشوقُ ينجثُ من أضلاعه بلداً



الشاعر

سليمان خالد الجباني

من قتل أليخاندر؟

القول يا أخي، ولكن يجب أن نسَمّي الأشياء بمسمياتها.. هذا الرجل مستعد أن يبيع إبهام قدمه بسيجارة... ابتعدوا عنه.. هذا مدسوس من النظام.. يا عالم يا هو.. احذروا أبو عادل نقول لكم: هذا زوج نسرين يا أخي.. لم يُلقَ أحدٌ بالألّ لأصراخ الطرف المشكّك في أبي عادل، وقرّبته الجميع، حتى صار مسؤولاً في مخيم الزعتري.. طبعاً مسؤول أمني.

دخل أبو عادل في كل تعقيدات مرحلة الزعتري.. سرقة الإغاثة.. وإرهاب اللاجئين.. والتبليغ عنهم.. وابتزاز النساء، وتقديم دراسات أمنية رصينة، عن نزلاء المخيم، فالرجل عنده خبرة احترافية عالية امتدت سنوات. حدث أمرٌ لا يعرف أحد ما هو، فُرّجّل أبو عادل من الأردن، ووصل إلى السودان، عاربياً من كل شيء، وهناك اتخذ وضعاً جديداً، وما زالت نسرين بجانبه.. بالمناسبة على الرغم من ولوج نسرين في الخمسين، فإنّها ما زالت بكامل أناقتها وجمالها وخسّتها.

بعد عدة أسابيع بدأ أبو عادل البحث عن عمل جديد، وبعد استشارة المقربين من مراكز القرار وُجّه للعمل مرشداً سياحياً كونه يتقن الإسبانية؛ لأنّ السودان فيه بعض الأهرامات، ويرتاده سياح إسبان، وسياح من بعض الدول الناطقة بالإسبانية.

ظل أبو عادل في هذه المهنة عدة شهور، وكان سير العمل طبيعياً، حتى ظهر رجل الأعمال الكوستاريكي خوسيه تونيكو، الذي جاء إلى السودان لإقامة بعض المشروعات الاستثمارية، وقد نصحه المستشارون باعتماد أبي عادل مترجماً له في السودان.

صار أبو عادل قريباً جداً من السيد خوسيه تونيكو، الذي بدأ بمشروعات عملاقة في السودان، وفي إحدى الجلسات الصافية بينما كانت نسرين تصب الويسكي للسيد خوسيه، قال أبو عادل للسيد خوسيه: لماذا تصرف كل هذا المال في السودان؟؟ ما الأرباح



د . إيّاس غالب الرشيد

أديب واكاديمي سوري

-اسمع يا صديقي.. أبو عادل كان مساعداً أول في المخابرات، لا أدري في أي فرع يخدم، ولكنه كان يحمل مثل كل المساعدين دفترًا بيده، ويركب دراجة نارية.

ما علينا.. القصة طويلة. ترقّى الرجل، ثم انتقل ليعمل في السفارة السورية في إسبانيا بصفة ضابط أمن السفارة، وظل هناك ست سنوات، وأخذ معه نسرين طبعاً..

أنا متأكد أنك تعرف نسرين.. يا أخي لا يوجد بني آدم في البلدة لا يعرف نسرين، لكن أنت ثور، أمضيت وقتك تخطط كيف تصبح طبيباً، فصرت ممرضاً.. ولكن الله غالب.. أين كنا؟؟ نعم يا عزيزي..

عندما قامت الثورة كان المساعد أبو عادل قد أنهى عمله في السفارة في إسبانيا وعاد إلى سوريا ليكمل عمله في أحد فروع المخابرات، بدأت حالة الانشقاقات، فجأة ظهر أبو عادل على شاشة التلفزيون يعلن انشقاقه بعد أن ذهب إلى الأردن، انقسم الناس إلى قسمين، قسم يقول: الثورة تجبّ ما قبلها، وهذا الرجل جوهره طيب، وكان يحتاج إلى فرصة ليثبت ذاته، وقسم آخر قال: لك يا عمي أيّ جوهر طيب؟؟!!! هذا الرجل ديوث وقوّاد، شباب البلدة يعرفون نسرين، أكثر ممّا يعرفها هو.. لا نريد أن نفحش في

لا تعرف المساعد أول أبو عادل؟؟ هل هذا أمر مقبول!!

إذا قلت لك أنت غشيم.. فستضايق، وتقول: أنا درجاتي في الثانوية العامة تؤهلني لدخول هندسة العمارة، ولكنني أحب التّمرّيش، لذلك درست في المعهد الصّحي. -يا أخي ما علاقة الجامعة والدرجات، والدراسة!!

-القضية بسيطة وواضحة، هل تعرف المساعد أول أبو عادل؟؟

لا تعرف؟؟!! إذن أنت غشيم.. سأساعدك بتذكر هذا الرّجل، هل تذكر المرأة النّحيفة والطويلة؛ التي كانت تسكن بجانب النهر، ويخرج من بيتها في الشتاء دخان كثيف؟؟ هل تذكرها؟؟... الرّجل الذي يبيع الدّخان تحت المدخنة.. هو أبو عادل.. لم تتذكر؟؟

أتذكر عرس محمود وعيدة؟؟ هذا العرس لا ينساه أحد..

الرّجل الذي سرق اللحم من طاقة المطبخ، وهرب وأمسكوا به، وربطوه إلى شجرة التين، وبدأ الأولاد الصغار يضربونه بالحجارة، وحاول الشّقي حسني أن يدخل العصا في مؤخرته؟؟ هذا هو المساعد أبو عادل.. لم تتذكر؟؟!!!

هل تذكر نسرين؟؟!!! نسرين نسرين يا رجل.. نسرين التي ملأت الدنيا وشغلت الناس؟؟ المساعد أبو عادل زوجها.

لم تتذكر؟؟

أنت لست غشيماً يا صديقي.. أنت حمار.. أرجوك لا تتضايق مني.. حقبة تاريخية كاملة ومهمة.. ولا تذكر منها شيئاً..

انذهب، وادفن نفسك في التبن، لا أريد أن أذكر ألقاظاً أخرى.

أنا أتحمّل المسؤولية في هذا الحوار المتشنج، لماذا لا أشرح لك من هو المساعد أبو عادل عوضاً عن هذا العي.





التي ستجنيها؟؟ هل تستحق كل هذا التعب في هذه البلاد الحارة؟؟ لماذا لا تستثمر في مجال آخر؟
-رد السيد خوسيه: مجال آخر مثل ماذا؟

-السياسة يا سيد خوسيه...
-قهقه السيد خوسيه عالياً، وقال: متى كانت السياسة مجال استثمار؟! هل تعلم أن راتبك مترجماً أعلى من راتب وزير في حكومة كوستاريكا؟
-تحمس أبو عادل للموضوع أكثر، كون السيد خوسيه قبل الحوار فيه، وقال: أنا لا أقول أن تصبح وزيراً، لماذا لا تصبح رئيساً للبلاد؟
-هذا أمر صعب ومعقد.. يجب أن تمارس السياسة سابقاً، وتكون عضواً في أحد الأحزاب التي سترشحك، وأنا لا أنتسب إلى أي حزب، وإذا قررت السير في هذا الموضوع -الآن- فإنه يحتاج إلى عشر سنوات، وفي النهاية ما المردود؟ أنا عندي شركتي الكبيرة...

-اسمع يا سيد خوسيه هناك طرق أقصر لتصبح رئيساً، وتبتلع كل شيء...انقلاب عسكري مثلاً، تدفع مالاً لضباط الجيش، وتجعلهم ينقلبون على الرئيس، ثم تصعد أنت إلى السلطة، بعد إقرار دستور جديد يفصل على مقاسك..

-كوستاريكا ليس فيها جيش أساساً فقد ألغي سنة 1949، بعد اضطرابات في البلاد، والسلطة تنتقل ديمقراطياً منذ ذلك الوقت.

-طيب هناك حل آخر.. تعتمد على الفقراء، وتحشد لهم لإطاحة الحكومة مثل الثورة الفرنسية.

-يا أخي أبو عادل: ناولني الجزرة لو سمحت... كوستاريكا ليس فيها فقراء، وهي من أحسن دول أمريكا اللاتينية في مؤشر التنمية البشرية، حيث احتلت المرتبة 69 على مستوى العالم لعام 2011، واعتبر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي كوستاريكا من أكثر الدول التي حققت تقدماً على مستوى التنمية البشرية في عام 2010، واحتلت المرتبة الأولى في مؤشر الكوكب السعيد عام 2010، يا مستر أبو عادل: إن متوسط عمر الناس في كوستاريكا 79 سنة، الناس عندنا تموت وهي سعيدة.

خدمتين في هذا الموضوع، أرشح لك مجموعة من الكتاب العرب، الذين يكتبون في صحف للأظمة، وكانوا يقنعون الشعوب العربية أن هذه الأنظمة ستحارب إسرائيل، أو أعطيك قصة مقتل إحدى شخصياتنا التاريخية وهي قصة جاهرة، وما زال الصراع حولها قائماً حتى الآن، خذها وطبقها بحرفيتها.

-والخطوة الثانية مستر أبو عادل؟
شعر أبو عادل بالنشوة؛ فبدأ بفرك كأس الويسكي بيديه، وقال: نبدأ بتهييج الـ 11% عبر وسائل الإعلام، صحفيون شعراء، فنانون، ثم تسليح هؤلاء، فتدخل البلاد في دوامة حرب أهلية، وأنت في كل مرة تصطف إلى جانب، وطبعاً أنت صاحب المال الأوفر، وبعدها تُعقد تسوية، تكون فيها أنت رئيس البلاد.

في اليوم الثاني أعلن التلفزيون التابع لشركات السيد خوسيه أسبوعاً خاصاً للتعريف بأليخاندرو، الذي قتلته مجموعة من الأوباش.

-طيب هناك حل آخر ما ديانة الناس في كوستاريكا؟
-سبعون في المئة مسيحيون كاثوليك، والباقي ديانات متعددة كالهندوسية، والإسلام والبوذية، والهندوسية، وهناك 11% دون ديانة..
-هناك 11% دون ديانة؟! أعد عليّ هذه العبارة يا سيد خوسيه بكل درجات السلم الموسيقي، هذه العبارة الأخيرة أجمل إنجاز في كوستاريكا ومنها ستصبح أنت حاكماً لكوستاريكا..

-ما علاقة 11% بلا دين في حكم البلاد؟

اسمع يا مستر خوسيه: أنا عملت سابقاً في جهاز مخابرات، وخضعت لدورات صناعة الأزمات.

أولاً سنقنع هؤلاء الـ 11% أن لهم قديساً اسمه أليخاندرو، وأن بقية السكان تحالفوا على قتله منذ ثلاثة آلاف سنة، ونكتب قصة كاملة لمأساة هذا المسكين، الذي قتله الأوباش المتوحشون، باستطاعتي أن أقدم لك

طباعة الأقمشة بالقوالب الخشبية حرفة تتوارثها الأجيال

تُصنّف الطباعة على الأقمشة باستخدام القوالب الخشبية ضمن المهارات المرتبطة بفنون الحرف التقليدية، وهي حرفة عريقة اشتهرت بها مدينة دمشق وامتدت إلى مدن سورية أخرى كحلب وحماة وجسر الشغور. يقوم الرجال عادةً بتنفيذ الطباعة، بينما تتولى النساء مهمة التطريز اللاحق، في مشهد يجسد التكامل المجتمعي في إنتاج هذه المنتجات اليدوية.

تعتمد هذه الحرفة على مجموعة من المواد والأدوات المحددة، أبرزها:
- القالب الخشبي: ويُصنع من خشب الحور، عبر أخذ مقطع عرضي منه ثم حفره يدوياً باستخدام سكين حادة، ليحمل شكل النقشة المطلوبة.
- الريشة: وهي سكين حادة بطول 5 سنتيمترات، تُستخدم في حفر القالب وإعطائه تفاصيل الرسم بدقة.
- النيلة: وهي صبغة زرقاء سريعة الذوبان في الماء، تُستخدم جبراً للطباعة، وتتميز بسهولة زوالها بالغسل بعد الانتهاء من التطريز.
- الدسطر: وهو وعاء معدني يُوضع داخله قماش مبيل، ثم تضاف إليه النيلة بعد حلها بالماء، ليكون جاهزاً لغمس القالب الخشبي.
- الأقمشة القطنية: وهي السطح الذي تُطبّع عليه الرسوم، وتُستخدم في تصنيع منتجات متنوعة.

مراحل العمل

تمر عملية الطباعة بالقوالب الخشبية بعدة مراحل متسلسلة:

- 1 - تحضير الدسطر حيث يوضع القماش المبيل في الوعاء المعدني، ثم تضاف النيلة المذابة بالماء.
- 2 - حفر القالب: يُنحت القالب الخشبي يدوياً وفق الرسم المطلوبة، إما على يد حُزَفَيّن سوريين أو عبر استيراد قوالب محفورة من الخارج.





جسر الشغور بالأقمشة المطبوعة الملونة. يُراوح عمر المطبّاعين الذكور بين 25 و50 عاماً، فيما تمارس النساء التطريز من عمر 12 عاماً حتى 80 عاماً. وقد توارث الممارسون هذه الحرفة عن آبائهم أو عن المشتغلين بها سابقاً، مما يعكس استمرارية هذا الإرث عبر الأجيال.

الوضع الراهن

شهدت هذه الحرفة خلال العقود الأخيرة تراجعاً ملحوظاً في عدد ممارسيها وورشاتها، وبات حضورها يتركّز في نطاق محدود. ويضع هذا التراجع الحرفة أمام تحديات تتصل بالبقاء والاستمرارية ونقل مهاراتها إلى الأجيال الجديدة، على الرغم مما تختزنه من قيمة ثقافية وتاريخية.

الخصائص المادية واللامادية

تتصل بالعنصر موادّ مادية تتمثل في القالب الخشبي، والريشة، والنيلة، والدسطر، والأقمشة القطنية. أمّا الجانب اللامادي فيتمثل في دقة حفر القالب الخشبي وجزئية «الطبّاع» في إظهار النقشة بشكل متناظر وبسرعة تفوق قدرة المبتدئين، مما يعكس ثقافة الإتقان والتدرب والعمل المبدع التي تحملها هذه الحرفة عبر تاريخها العريق.

3 - الطباعة: يُغمس القالب الخشبي في الدسطر، ثم يُضرب على القماش القطني يدوياً وبسرعة، لإظهار النقشة بشكل متناظر.

4 - التجفيف والتطريز: بعد جفاف القماش، تتولى النساء عملية التطريز وفقاً للرسم المطبوعة.

5 - الغسل النهائي: تُغسل القطعة القماشية لتزول النيلة، وتصبح جاهزة للاستخدام.

الرسوم والاستخدامات

تتنوع الرسوم المطبقة على الأقمشة، وتحمل أسماءً مستوحاة من الطبيعة، منها: فلة، ياسمين، وردة، بزر الليمون، إجاز. وتعدد استخدامات هذه الأقمشة، حيث تدخل في صناعة الملاءات والستائر والمفارش ومناديل الرأس وطقوم الصلاة وأغطية الطاولات.

الجماعات المعنية والتوزيع الجغرافي

يُطلق على من يقوم بالطباعة اسم «طبّاع»، أما «الطرزي» فهو المسؤول عن التطريز. ويتركز هؤلاء الجُزفيون في دمشق وحلب وحماة وجسر الشغور. وتشير المراجع إلى أن هذه الحرفة دخلت سوريا قادمة من جنوب شرق آسيا، واستقرت في المدن المذكورة، وتشتهر





المشهد التشكيلي السوري بين طموح المؤسسة وخوف الفنان وشوق المغترب

ميس العاني - مجلة الشام

بينما تنفض المحترفات التشكيلية في سوريا غبار سنوات طويلة من الركود، يجد الفن البصري السوري نفسه اليوم أمام أسئلة وجودية تمس جوهر الهوية والمستقبل. ففي الوقت الذي تقود فيه المؤسسة الرسمية خراكاً طموحاً لإعادة هيكلة المشهد عبر مواسم فنية مكثفة، لا يزال فنانو الداخل يترقبون هذا الانفتاح بحذر، مطالبين بكسر احتكار الفضاء الثقافي وضمان الشفافية والعدالة للمواهب المهمشة.

وبموازاة ذلك، تبرز تجارب الاغتراب جسراً ممتداً يعيد رسم جغرافيا الوطن بوعي جديد ومغاير.

يجمع هذا التحقيق ثلاثة أصوات تمثل معاً ملامح الخريطة الفنية الراهنة؛ ليرصد الفجوة والطموح بين خطط المؤسسة، وهواجس المبدع، وأشواق المغترب، في محاولة لفهم كيفية استعادة المشهد البصري نبضه وصلته بالحياة.





مشروع ثقافي مستدام يقوم على التخطيط والتوثيق



التشكيلية السورية، يشير عبد الحميد إلى مجموعة ملفات تهدف إلى إعادة تنشيط الحركة البصرية السورية وفق رؤية جديدة، ومن أبرزها:

إعادة تفعيل المعارض والمقتنيات الفنية الوطنية ضمن إطار مؤسساتي واضح، وتطوير آليات اختيار المشاركات الفنية وفق معايير مهنية وفنية تضمن التنوع والجودة، ودعم

والتوثيق، ودعم المواهب الشابة، وإتاحة الفرص أمام مختلف أجيال الفنانين للمشاركة في صناعة المشهد التشكيلي السوري.

إعادة تنشيط الحركة البصرية السورية وفق رؤية جديدة

وعن أبرز الملفات التي تعمل عليها الإدارة حالياً لدعم الحركة

يقوم الدور الأساسي الذي تضطلع به إدارة الفنون الجميلة ضمن عمل وزارة الثقافة اليوم، بحسب مديرها وسيم عبد الحميد لـ «مجلة الشام»، على وضع وتنفيذ الرؤية الوطنية الخاصة بالفنون البصرية في سوريا، من خلال دعم الحركة الفنية، ورعاية الفنانين، وتنظيم المعارض والفعاليات، وتطوير آليات العمل المؤسساتي بما يواكب التحولات التي يشهدها المشهد الفني محلياً وتولياً.

ولا يقتصر دور الإدارة على تنظيم النشاطات الفنية، بل يتجاوز ذلك إلى بناء منظومة ثقافية متكاملة تهدف إلى حماية الذاكرة البصرية السورية، وتوثيق المنجز الفني، وفتح قنوات التواصل مع المؤسسات الفنية العربية والدولية، بما يعزز حضور الفن السوري ومكانته، كما تعمل الإدارة -كما يوضح عبد الحميد- على الانتقال من مفهوم الفعالية المؤقتة إلى مشروع ثقافي مستدام، يقوم على التخطيط،



ويضيف أن الإدارة تعمل أيضاً على مواصلة التحضير لإطلاق مشروع بينالي سوريا الأول 2027، باعتباره مشروعاً وطنياً ودولياً يهدف إلى وضع سوريا على خريطة الفعاليات الفنية الكبرى، من خلال رؤية معاصرة تركز على مفاهيم الذاكرة، والهوية، والتحويلات الإنسانية، والانفتاح على التجارب الفنية العالمية. ويوضح عبد الحميد أن فعاليات أيلول لم تكن معرضاً واحداً بالمعنى التقليدي، بل هي موسم متكامل للفنون البصرية السورية، يجمع بين المعارض، والحوارات، واللقاءات، والورشات، والفعاليات التفاعلية. والهدف -كما يقول- هو تأسيس موعد سنوي للحوار الفني، يعكس حيوية المشهد السوري ويمنح الجمهور فرصة للاطلاع على تجارب متنوعة، من الفن المعاصر إلى التجارب المرتبطة بالذاكرة والتراث والهوية.

السنوي السوري للفنون البصرية للفن أثر 2026، الذي أقيم في المركز الوطني للفنون البصرية ومثل منصة وطنية جمعت الفنانين السوريين من مختلف الأجيال والتجارب، وقدم قراءة للمشهد البصري السوري المعاصر، إضافة إلى أسبوع الفن السوري في «وردة مسار»، الذي تضمن مجموعة أنشطة فنية وحوارية تفتح مجالاً للتفاعل بين الفنانين والجمهور.

كما شمل البرنامج معرض «بين» إلى جانب معرض استعادي من مقتنيات إدارة الفنون الجميلة في معمل الأسمنت بدمر، في تجربة تسعى إلى إعادة قراءة العلاقة بين المكان والذاكرة والفن المعاصر، وتحويل فضاء صناعي إلى مساحة إبداعية جديدة، إلى جانب السمبوزيوم السوري الشعودي، الذي مثل مساحة للتبادل الثقافي والفني بين الفنانين السوريين والشعوديين، وتعزيز العلاقات الفنية بين البلدين.

الفنانين الشباب وفتح مساحات جديدة للحوار والتجريب، وتعزيز برامج التعاون الثقافي والفني مع المؤسسات العربية والدولية، والاهتمام بالأرشفة والتوثيق باعتبارهما جزءاً أساسياً من حفظ الذاكرة الفنية السورية، والتحضير لمشروعات كبرى تعيد تقديم الفن السوري ضمن المشهد الإقليمي والدولي، وفي مقدمتها مشروع بينالي سوريا الأول 2027.

أيلول شهر استثنائي للفنون البصرية السورية

ويؤكد عبد الحميد أن عام 2026 مثل مرحلة مهمة في مسار عمل الإدارة، حيث أطلقت مجموعة من المشروعات والفعاليات التي تهدف إلى جعل هذا العام محطة جديدة في تاريخ الفن السوري، وكان شهر أيلول شهراً استثنائياً للفنون البصرية السورية، من خلال برنامج متكامل ضم عدداً من الفعاليات المتزامنة، أبرزها: المعرض



إلى استعادة دور الفن بوصفه مساحة للتفكير والحوار وبناء الوعي. ويأمل أن يشعر الفنان بأن المؤسسة الثقافية تعمل إلى جانبه، وأن يجد الجمهور في الفن مساحة لاكتشاف ذاته وذاكرته وأسئلته المعاصرة. ويضيف أن عام 2026 سيكون عاماً لإعادة بناء الثقة بالمشهد البصري السوري، من خلال مشروعات تفتح الأفق أمام الفنانين، وتحفظ الذاكرة، وتؤسس لحضور سوري أكثر تأثيراً على المستوى العربي والدولي، وصولاً إلى مشروع بينالي سوريا الأول 2027 الذي تطمح الإدارة إلى أن يكون منصة عالمية تحمل خصوصية التجربة السورية ورؤيتها الفنية.

إلى خلق بيئة تجمع الرواد وأصحاب التجارب الراسخة مع الجيل الجديد، بما يسمح بانتقال الخبرة وتشجيع التجريب والابتكار، مع الحفاظ على المعايير الفنية والمهنية التي تليق بمستوى الحركة التشكيلية السورية.

2026 عام إعادة بناء الثقة بالمشهد البصري السوري

ويختم عبد الحميد حديثه بالرسالة الأساسية التي تريد إدارة الفنون الجميلة إيصالها للفنانين والجمهور خلال عام 2026، مؤكداً أن الفن السوري يمتلك تاريخاً عميقاً وقدرة مستمرة على التجدد، وأن المرحلة القادمة تحتاج

المشهد الفني لا يبنى بجيل واحد

وعن استهداف الفنانين المحترفين فقط أم فتح المجال أمام الشباب وطلاب الفنون الجميلة، يؤكد عبد الحميد أن الإدارة تؤمن بأن المشهد الفني لا يبنى بجيل واحد، بل بالتكامل بين الخبرة والتجربة والطاقة الجديدة، لذلك فإن هذه المشروعات لا تقتصر على الفنانين المحترفين فحسب، بل تفتح المجال أمام الفنانين الشباب وطلاب كليات الفنون الجميلة والمعاهد الفنية للمشاركة والتفاعل. ويسعى القائمون على الإدارة

نحو مراجعة نقدية للمشهد وفتح الأفق للمواهب



الفنان التشكيلي عامر مغربي

من جانبه باعتباره فناناً تشكيمياً، يرى عامر مغربي في حديثه لـ «مجلة الشام» أن المشهد التشكيلي السوري اليوم في أمس الحاجة إلى دماء جديدة، وأن وزارة الثقافة مدعوة إلى أداء دور محوري في إتاحة الفرصة أمام الفنانين الذين مُنعوا من الظهور في مرحلة سابقة، حيث كان النظام البائد يحتكر فضاءات التمثيل الفني ويغلقها أمام من لا ينتمي إليه أو يواليه.

ويؤكد مغربي أن هذه اللحظة التاريخية تستدعي إعادة النظر في آليات الاختيار والمشاركة، وفسح المجال أمام المواهب الجديدة والفنانين المهمشين، حتى يظهر الفن التشكيلي السوري بوجهه الحقيقي، بعيداً عن أي اصطفاة أو توجيه.

ويشير إلى أن بعض الأعمال التي أنتجت في سياق الآونة السابقة، والتي حملت شعارات ورؤى مرتبطة بخطاب النظام البائد، باتت اليوم محل تأويل وتبرير جديدين، في محاولة لتطويعها للسياق الجديد، وهو ما يطرح إشكالية أخلاقية وفنية في آن معاً.

يتجهون إلى المدارس الحديثة والمعاصرة دون امتلاك أرضية صلبة في الرسم الواقعي، وهذه إحدى إشكاليات المشهد الحالي. ويضيف أن بعض الفنانين لجؤوا سابقاً إلى الإيحاء في أعمالهم لتجنب المواجهة، لكنه يدعو اليوم، في ظل

الفن فضاء للصدق والتحرر لا للالتفاف والمناورة

وعن مكانة الفن التشكيلي السوري اليوم، بين تحولات الفنانين وحاجة المشهد إلى استعادة فعاليته، يرى مغربي أن كثيراً من الفنانين



مُنَاخ أكثر انفتاحاً، إلى تجاوز هذه المرحلة نحو تعبير مباشر، شريطة ألا يتضمن العمل الفني إساءة أو تعدياً، فالفنّ -كما يراه- ينبغي أن يكون فضاء للصدق والتحرر، لا للالتفاف والمناورة.

آليات تضمن العدالة والشفافية في توزيع الفرص

وبخصوص أبرز الأسئلة التي تشغل الفنان السوري اليوم، يرى مغربي أن الهاجس الأكبر لدى الفنان الحقيقي هو فرصة المشاركة والعرض، وتمثيل بلده في المحافل الدولية، معرباً عن خشيته من تكرار نماذج احتكار الفرص التي شهدها عقود سابقة، حيث كانت أسماء بعينها تستأثر بالفعاليات الكبرى ويُغلق الأفق أمام الآخرين، معتبراً أن المرحلة الجديدة تتطلب آليات تضمن العدالة والشفافية في توزيع الفرص، وتفتح المجال أمام التنوع والتعدد. وعن حاجة المعارض والصالات والجمهور إلى إعادة تنشيط الحركة

معلومات مبسطة عن مدارس الفن، ومعاني الألوان، وأساسيات المنظور وعلوم الفن، بما يؤهل الجيل الجديد لقراءة العمل الفني وفهمه، ويخلق جمهوراً أكثر وعياً وقدرة على التفاعل مع الإنتاج التشكيلي.

التشكيلية، يدعو مغربي إلى وجود نقاد فنيين جدد، مثقفين وحياديين، قادرين على إنصاف المواهب الجديدة وإتاحة الفرص أمامها. ويقترح أيضاً تفعيل حصة الرسم في المدارس الابتدائية والإعدادية، وتعديل المناهج لتشمل

الفن جسر بين الذاكرة والجغرافيا



الفنانة التشكيلية تولين بعلبكي

وشاركت في معارض جماعية عالمية، منحتها فرصة لرؤية كيف يُنظر إلى الفن السوري في المحافل الدولية، مؤكدة أن هذا الفن لم يعد محصوراً بجغرافيا الوطن، بل أصبح حاضراً في

الشُوريون، رغم كل ما مروا به، قدرتهم على الاستمرار والإبداع، داخل سوريا وفي بلدان الاغتراب واللجوء. وتشير إلى أن تجربتها الشخصية في أوروبا، حيث أقامت معارض فردية

ومن موقعها فنانة تشكيلية سورية مغتربة، ترى تولين بعلبكي في حديثها لـ«مجلة الشام» أن الفن التشكيلي السوري اليوم يقف أمام مرحلة تاريخية فارقة، إذ أثبت الفنانون





المشروعات الكبرى، يبحث الفنان عن مساحته وحقه في الظهور، وتحاول الفنانة المغتربة أن تبقي جسراً بين الذاكرة والجغرافيا.

وما يجمع هذه الأصوات هو إيمان مشترك بأن الفن السوري، رغم كل التحولات والتحديات، يمتلك قدرة فريدة على التجدد والحضور، وأن المرحلة المقبلة بحاجة إلى تضافر الجهود بين المؤسسات والفنانين والجمهور، كي لا يكون الفن مجرد ممارسة جمالية، بل مساحة للحوار وبناء الوعي واستعادة الثقة بالمستقبل.

بل المشاركة في ترميم الذاكرة وبناء الأمل، مؤكدة أن العودة إلى سوريا كانت لحظة عميقة، وأن المرحلة المقبلة ستمنح الفن السوري صفحة جديدة لا تلغي الماضي، بل تحوله إلى قوة دافعة نحو المستقبل.

ختاماً

يتقاطع في المشهد التشكيلي السوري اليوم ثلاثة أصوات، ينظر كل منها من زاوية مختلفة إلى واقع الفن ومستقبله، فبينما تعمل المؤسسة على وضع الأسس التنظيمية وإطلاق

عواصم كثيرة، محملاً بهوية بصرية غنية وتجارب إنسانية عميقة، لكنها ترى أنّ هناك حاجة ماسة إلى مزيد من التعاون بين الفنانين في الداخل والخارج، وإلى مؤسسات قادرة على جمع هذه الطاقات وتوثيقها، لأن ما أنتجه الفنانون السوريون يمثل جزءاً مهماً من تاريخ الفن المعاصر.

وتؤكد بعلبكي أن الاغتراب غيّر علاقتها بسوريا جذرياً، وجعلها تراها بعين القلب أكثر من عين المكان، مشيرة إلى أنها ترسم البورتريه باعتباره حاملاً للحكاية الإنسانية الكاملة، وتضيف إلى لوحاتها عناصر ورموزاً مستوحاة من دمشق وسوريا كالياسمين، والنوافذ الدمشقية، والأقواس، والأبواب القديمة، لتشكل ذاكرة بصرية تحملها أينما ذهبت. وتوضح أن لوحاتها ليست انفصلاً عن حياتها، بل انعكاس لتجاربها الشخصية، من صراعات البقاء، إلى ألم الفقد، إلى رحلة اللجوء التي خاضتها مع أولادها، وإعادة بناء الحياة والهوية المهنية من الصفر، وكلها تجارب تحولت إلى جزء من لغتها الفنية، التي لا ترسم فيها سوريا على أنها خريطة، بل ذاكرة حية تعيش داخلها.

الفن جسر جامع للسوريين أكثر من أي وسيلة أخرى

وبخصوص ما يحتاج إليه الفن التشكيلي السوري ليستعيد صلاته بالجمهور والفنانين، ترى بعلبكي أن الفن يمكن أن يكون جسراً جامعاً للسوريين أكثر من أي وسيلة أخرى، وتدعو إلى إقامة معارض ومشروعات مشتركة تجمع الفنانين في الداخل والخارج، مع أهمية توثيق التجربة الفنية السورية في السنوات الماضية، بوصفها ذاكرة شعب وتجارب إنسانية تستحق الحفظ للأجيال القادمة. وتلفت إلى أنها كانت تحرص في معارضها في أوروبا على تقديم وجه سوريا الثقافي والإنساني، بعيداً عن صور الحرب والأرقام، لتؤكد أن وراء كل لوحة وطناً لا يزال حياً في ذاكرة أبنائه.

وتختتم بالقول إن الفن اليوم، بعد انتصار الثورة، أمام مسؤولية جديدة ليست توثيق الألم فحسب،



الألم لتتجاوز حدود الجغرافيا، وقد أنجز جانباً مهماً من هذه التجربة بالتعاون مع فريقه الذي يضم أنيس حمدون، وسلام حامض، ويافا دياب، في عمل جماعي جمع بين الفن والتوثيق، وبين الصورة وذاكرة المكان.

تحضر في هذه الجداريات وجوه من الذاكرة السورية.. شهداء، ومعتقلون، وأطفال، ونازحون، وأشخاص غابوا أو غُيِّبوا، وتمنح الأعمال هذه الوجوه حضوراً بصرياً في الفضاء العام، وتعيد تثبيت حكاياتها في وجدان الناس، ليصبح اللون وسيلة لحفظ ما حاول العنف محوه، والجدار مساحة مفتوحة للتذكّر. وامتدت تجربة أسمر وفريقه من الوجد السوري المباشر إلى قضايا إنسانية أوسع، ففي جدارية جورج فلويد، تحوّل جدار مهذّم في إدلب إلى رسالة تضامن مع ضحايا الظلم والعنصرية في العالم، وبعد زلزال شباط 2023، عاد الفريق إلى الركام في جنديرس وبنّش، فرسم وجوه الضحايا ومشاهد تستحضر الفقد، وتبحث وسط الخراب عن معنى للأمل.

يُعَدُّ فنُّ الجداريات من أكثر الفنون التصاقاً بالمكان والناس، ويستمدّ موضوعاته من ذاكرة المجتمع، ليصبح جزءاً من المشهد اليومي وحكاياته، فالجدار لا يحمل الصورة وحدها، وإنما يحتفظ أيضاً بآثر الزمن، وما مرّ به المكان من حياة وخراب وفقد.

في تجربة الفنان السوري عزيز أسمر وفريقه، تحوّلت الجدران المتضرّرة والبيوت المهذّمة في بنّش وريف إدلب ومعظم المحافظات السورية، إلى شواهد حيّة على ما عاشه السوريون، وعلى ما خلفه النظام البائد من تدمير للمدن والقرى.

اختار الفريق الركام مساحة للرسم، ووضع على الجدران وجوهاً وعبارات وألواناً منحت المكان صوتاً، وأعادت إلى البيوت المهذّمة جانباً من حكايتها.

ينحدر عزيز أسمر من مدينة بنّش في محافظة إدلب، وعُرف على مدار سنين الثورة بجدارياته التي وُلدت من رحم





مختارات من أعماله



جدارية

**عبد الباسط الساروت..
«ثورتنا كاشفة»**

استعادة بصرية لصوت سوري
ارتبط بالثورة والهتاف
والذاكرة الشعبية.



جدارية

جورج فلويد

رسالة تضامن انطلقت
من إدلب، واتصلت بقضية
إنسانية عالمية في مواجهة
الظلم والعنصرية.



جدارية الجنين السوري

في خان شيخون

صورة موجعة تختصر حياة قُتلت قبل أن تبدأ، وتستعيد واحدة من أقسى صور المأساة السورية.

جداريات التضامن مع القضايا الإنسانية

أعمال تناولت الاحتجاجات في كولومبيا وقضايا الحرية والعدالة في أنحاء مختلفة من العالم.





في تجربة عزيز أسمر وفريقه، يصبح الفن شكلاً من أشكال المقاومة، ووسيلة لحفظ الذاكرة، وتعبيراً عن قدرة السوري على مواجهة الاستبداد والخراب بأدوات الجمال والمعنى. هكذا يتحوّل الألم إلى صورة، والركام إلى ذاكرة، والجدار المهتمّ إلى مساحة للقول، وشاهد يبقي الحكاية حيّة.

الموسيقا الكردية في سوريا

ألحان لم يطوها الظلم والاستبداد

الحديث عن الموسيقى الكردية في سوريا يحمل كثيراً من الألم والحزن لاسيما خلال عشرات السنين التي مرت، حيث تعرضت للتهمة السرقعة وعانى أصحابها ما عانوه من الاعتقالات المستمرة وأحياناً للضرب وكسر آلاتهم الموسيقية فوق رؤوسهم.

ويمكن أن نلخص هذه الظروف بأمرين، الأول إيجابي وهو عدم معرفة الظالم بأن هذا الاضطهاد يعطي لفناني الكرد إصراراً للتمسك أكثر بهويتهم الثقافية والموسيقية ونقل أغانيهم من جيل إلى جيل حتى لو أدوها في الوديان العميقة والأماكن البعيدة عن عيون الأجهزة الأمنية القمعية، بل وابتكروا أغاني جسدوا فيها معاناة الشعب الكردي في سوريا في ظل حكومة عاشت ستين عاماً وأكثر.

وأستطيع القول إن الموروث الشعبي عند الكرد هو الثروة الوحيدة التي لم يتمكن الخصوم من النيل منها. ومن هنا استمرت الأغنية الكردية محافظة على ألحانها وكلماتها.

والأمر الثاني كان سلبياً؛ لأن هذه الموسيقى بقيت خاماً وبعيدة عن التطور ومواكبة العصر. وفي هذا شيء من الإيجابية؛ لأن التراث الموسيقي بقي كما هو بعيداً عن التشويه.

العجر الذين لهم الفضل باستمرارية هذا الشكل الغنائي.

مقامات خاصة

هناك العديد من المقامات سميت بالكردية كمقام الكورد والنهوند انتشرت في الشرق ولكن هناك مقامات انفردوا بها هم كمقام الدشت والهياميون والكول كلي وزير كولي ومقام الله ويسى، ومع ذلك فغالب ألحان الموسيقى الكردية تغنى على مقام البيات ومشتقاته، على الأقل في سوريا.

آلات موسيقية قديمة

أما بالنسبة إلى أبرز الآلات الموسيقية التي استخدمها هذا الشعب في سوريا فهي:

الزينة والداھول (الطبل الكبير):

استخدمت في الأعراس والمناسبات الاجتماعية كحفلات الطهور وغيرها، وأبرز عازفيها يوسف مسيلخ وأحمد أصلان.



إدريس مراد

كاتب سوري

هذه الموسيقى انتشرت كما عند كل الشعوب، ربما الموسيقى عند البعض خرجت من قصور الملوك قبل أن تنتقل إلى عموم الناس، أيضاً الموسيقى التي تحدث عنها بدأت من الصالونات ولكن العامة منها تناقلها أشخاص يمكن لي أن أسميهم القوالين يجولون القرى والبلدات ليجتمع الناس حولهم وينصتوا إلى قصص مغناة برفقة الكمنجة (الجوزة) وغالباً كانوا من

للغناء الكردي أشكاله المتعددة نذكر منها:

اللاوك: وهي ملاحم شعبية تروي حكايات أبطال الثورات وفرسان العشائر.

الحيران: قصص جسدت معاناة العشاق وحكايات الحب التي لم تكتمل مثل ممو زين وسيامند وخجي وفرهاد وبشيرين وغيرها.

اللاوجي: عبارة عن أناشيد دينية وصوفية.

إضافة إلى أغاني الأعراس والمناسبات الاجتماعية وأغاني المهن. انفرد الكرد في المنطقة بأسلوب غنائي اعتمد على الصوت البشري صِرفاً دون مرافقة الآلات الموسيقية وغالباً في القصص التي تحدثنا عنها فضلاً عن الغناء الجماعي، وبذات الطريقة في بعض الدبكات الفلكلورية، وأغاني الرثاء كذلك، وهي أسلوب الهور (الهورة الكلهرية) وتناقلتها الأجيال إلى كل الأماكن التي يعيش فيه الكرد.

موسيقا لكل الشرائح

إن عدنا إلى مئة عام خلت وجدنا





الجمبش: آلة وترية تتكون من تجويف من الألمنيوم ووجه من الجلد أما الرقبة فهي من الخشب ولها 12 وترًا استخدمها البعض في الأغاني السماعية والأعراس، وأبرز عازفيها الفنان عبده علانة وآرام تيكران.

الطمبورة: استخدمها غالب الفنانين، وهي آلة وترية تطورت منها آلة البزق، والطمبورة صنعت في المناطق الكردية وانتقلت عبر طريق الحرير إلى اليونان فطوروها إلى آلة البوزوكي وعادت إلى شرقنا لتصبح آلة البزق بعد التعديل، وهناك من يقول إن آلة الطمبورة وجدت على نقوش فرعونية أيضاً، وخلال بحثي توصلت إلى معلومة بأن هذه الآلة انتقلت إلى البلاط الفرعوني عن طريق نفرتيتي وهي أميرة ميثانية، هذه الملة التي كانت لها علاقة وثيقة بالفراعنة لحدود المصاهرة، وإلا فلماذا لم تستعمل هذه الآلة في الموسيقى المصرية وحتى آلة الطمبورة التي يستخدمها النوبيون والسودانيون لا تشبه أبداً الطمبورة التي تستخدم من آلاف السنين في منطقتنا.

البزق: وترية وكما قلت أصلها الطمبورة، دخلت إلى سوريا حسب الذاكرة عن طريق الموسيقي محمد عبد الكريم وأول من أدخلها إلى القامشلي هو الموسيقي سعيد يوسف.

الكمجة (الجوزة): جوفها دائري من الخشب ووجهها من الجلد ولها وتران، يُعزف عليها مثل الربابة ومن عازفيها الفنان الشعبي الشهير مراد كنة. إضافة إلى آلات الناي والدف والدودوك.

أسماء راسخة في الذاكرة

برز في العصر الحديث عدد من الموسيقيين الذين اتخذوا أساليب خاصة بهم ومشى على خطاهم من أتوا بعدهم، ونذكر منهم:



محمد علي شاكّر



جميل هورّو



سعيد يوسف



محمد شيخو



جوان حاجو



مجو كندش

عبدو علانة: مغنٌ من حقبة الستينيات من القرن الماضي، عزف على آلة الجنبش والعود، واشتهر بأداء الأغاني التراثية في منطقة ديريك وما حولها.

سعيد يوسف: ذاع صيته في أواسط الستينيات وعُرف بأمير البزق، كتب ولحن جلّ أغانيه، وأدى من ألحانه العديد من المغنيين الكُرد والعرب والأتراك، واعتُبر مدرسة لآلة البزق حيث مشى على خطاه كثيرون.

محمد علي شاكّر: لحن بأسلوب خاص حيث شكل ثنائياً مع شقيقه محمود عزيز شاكّر ليصنعا ظاهرة فنية فريدة من نوعها.

جميل هورّو: من أبرز مغني منطقة عفرين في الستينيات ولم يتأثر كغيره بالموسيقا المجاورة.

محمد شيخو: عانى ما عاناه من الظلم من قبل حكم البعث، سجن ونفي أكثر من مرة، كونه اتخذ القومية في أغانيه إضافة إلى رومنسيته في الأداء، وله ألحانه، كما غنى من ألحان سعيد يوسف ومحمد علي شاكّر.

رشيد الصوفي: كان مُقلّداً في إنتاجه، حيث فضّل التّويع على الكم، واعتمد أكثر من مقام في أغانيه، واتخذ الصوفية في ألحانه.

جوان حاجو: هاجر إلى أوروبا في بداية السبعينيات، وهو أول سوري مزج الجاز في موسيقاه مع الحفاظ الواضح على الجمل اللحنية الكردية ليصبح مثالا بين فئاني الشباب.

مجو كندش: يعيش في المهجر منذ سنين ويقدم الأغنية التراثية بأسلوب راقٍ لا يشبه أقرانه.

شيد: يعتمد النوع في أغانيه وهو أول من استعمل الأكاديمية في أعماله ويستعين غالباً بموسيقيين من المعهد العالي للموسيقا بدمشق.

خوشناف تيلو: كل ما يؤديه هذا الفنان بطريقة خاصة أقرب إلى الرومانسية.

وختاماً لا بدّ من القول إنّ الألحان الكُردية انتشرت في الساحة الثقافية السورية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وبدا واضحاً التأثير بها وخاصة في الموسيقا التصويرية واستخدم البعض ألحانها مع تعديل بسيط، ولكن دون أن يشير إلى ذلك.

مَنْ يَصْنَعُ كَلِمَةً «عَيْب»؟

«عيب! توقفي عن البكاء» بكلمة واحدة أنهى أستاذ التاريخ في المرحلة الإعدادية الموقف بشأن درجة واحدة فصلتني عن الطالبة الأولى في المدرسة. حينها اكتفى بهذه الكلمة. وانتهى النقاش من غير أن يبدأ. مرّت سنوات طويلة قبل أن أدرك أن أثر تلك الكلمة تجاوز اللحظة العابرة. فقد تعلمت، مثل كثيرين، إخفاء مشاعري قبل أن يطلب مني أحد ذلك، ومراقبة نفسي قبل أن يراقبني الآخرون.

تقصيراً في واجبها الأمومي، فتحمل شعوراً دائماً بالذنب، رغم مشروعية طموحها وحاجتها الاقتصادية. وإذا عُذنا إلى الذاكرة الشعبية فسنجد أنها تحمل أثر هذه الكلمة أيضاً، إذ تتكرر في الأمثال والحكايات المتوارثة بوصفها أداة تربوية جاهزة، تُختصر بها نصيحة معقدة في عبارة واحدة قاطعة، ومع الوقت تتحوّل إلى جزء من اللغة اليومية، فتُستعمل دون تمحيص، وتبقى صالحة لتبرير أي حكم اجتماعي عابر.



د . فاطمة شيخو أحمد

من هنا تبدأ مهمة النقد الثقافي في الانشغال بالسلطة الساكنة داخل كلمات تفوق معناها المعجمي، فبعض المفردات تُستعمل، أكثر من وصفها أداة للتواصل، أو وسيلة لإنتاج الامتثال، وكلمة «عيب» تحديداً قادرة على أداء هذه الوظيفة، فهي تُقال دون تفسير، أو فتح باب للحوار، ومن غير احتكام إلى نص قانوني أو مبدأ أخلاقي واضح، إذ يكفي أن تُلفظ حتى يتراجع الفرد خطوة إلى الخلف، وكأن المجتمع كله نطق بصوت واحد.

كما يصعب التعامل مع «العيب» على أنه قيمة أخلاقية ثابتة، فهو يتغيّر من بيئة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، أو طبقة اجتماعية إلى أخرى، بينما يحتفظ بسلطته نفسها. فما كان عيباً قبل عشرين عاماً قد يصبح اليوم سلوكاً اعتيادياً، والعكس صحيح أيضاً، والثابت الوحيد يكمن في قدرة الكلمة على ضبط الحدود التي يُسمح للأفراد بالحركة داخلها، أكثر من ثباتها في مضمونها ذاته.

السلطة المقنّعة

تكمّن خطورة مفردة «عيب» في اعتمادها على سلطة الإقناع أكثر من القسر، فالإنسان يمثل خوفاً من النظرة الاجتماعية، أكثر من التوجس تجاه العقوبة المباشرة، ومع مرور الوقت يتحوّل الرقيب الخارجي إلى داخلي، فيعيد الفرد إنتاج الرقابة على نفسه دون أن يشعر، وعندئذ يستغني المجتمع عن مراقبة الجميع، فيتكفّل كل فرد بمهمة مراقبة ذاته.

وتجلى هذه السلطة بوضوح في تفاصيل الحياة اليومية أكثر من حضورها في أي خطاب قانوني رسمي؛ فالرجل الذي يُعرب عن حبه لزوجته علناً يُوصم أحياناً بالضعف، بينما يحظى بهامش واسع للعلاقات السريّة بوصفها حقاً طبيعياً منسجماً مع الصورة النمطية للذكورة. والآن العاملة تُحاسب على خروجها إلى سوق العمل

نزاعة الصمت المبرمج

والسؤال الذي يستحق أن يطرحه النقد الثقافي اليوم يتجاوز مسألة الحاجة إلى القيم، فالمجتمعات تحتاج بالفعل إلى منظومة قيم تنظّم علاقاتها، إلا أنّ الإشكالية ترتبط بمن يحتكر تعريف هذه القيم، أو يملك حق تحويل ذوق اجتماعي عابر إلى معيار ملزم للجميع؛ إذ عندما تصبح كلمة واحدة قادرة على إسكات الحوار وتأييب الضمير، وتوزيع الشعور بالذنب، فإنها تكشف عن بنية ثقافية تمنح السلطة لمن يعرف «العيب»، أكثر مما تعطيه لمن يبحث عن الحقيقة. وهنا لا بد من القول: إن خطورة هذه الكلمة الحقيقية تأتي من مشاركتها في صناعة مجتمع صامت ومبرمج، فالطفل الذي يتعلّم مبكراً أن دموعه أو فرحته أو غضبه أمور مَعيبة، يكبر حاملاً اضطراباً عاطفياً صامتاً، ويظهر لاحقاً في صورة قلق مزمن، أو صعوبة في التعبير عن الذات، من غير أن يعرف صاحبه غالباً جذره الحقيقي.

ولهذا فإن تفكيك هذه الكلمة يستهدف تحرير الأخلاق من الأحكام الجاهزة أكثر من التوجه نحو هدمها، فالثقافة المجتمعية التي تربّي أبنائها على السؤال تملك فرصة أكبر للتجدد، أما الثقافة التي تجعل من كلمة «عيب» جواباً جاهزاً لكل سؤال، فتُغلق باب النقد قبل أن يُفتح، وتُورث الصمت جيلاً بعد جيل.





الحصاد الثقافي

أبرز أعمال وزارة الثقافة، من المسارح والمعارض والكتاب والفنون، إلى استعادة الآثار وتوسيع الشراكات الأكاديمية والحضور السوري على المنصات العربية والدولية؛ محطات تمثل جانباً من جهود تنشيط الحياة الثقافية في الداخل، وتوسيع دوائر التواصل والتبادل خارج سوريا.

برعاية وزارة الثقافة.. أصالة نصري في دمشق بعد سنين تغني لكل سوريا

غنائية امتدت من محطات بارزة في مسيرتها الفنية إلى ألوان غنية من التراث السوري. واستهلّت برنامجها بـ«ارفع راسك فوق»، قبل أن تنتقل إلى «أكثر من اللي أنا بحلم بيه» و«أسفة»، وسط تفاعل لافت من الحضور الذين شاركوها الغناء وردّدوا معها كلمات أغانيها.

وبالتناوب مع أغانيها الكلاسيكية، قدّمت أصالة ألبومها السوريّ الجديد، الذي يضم 14 أغنية مستوحاة من تراث المحافظات السورية وتنوّع ألوانها المحلية، ضمن معالجة موسيقية معاصرة.

ورافقتها «فرقة إنانا» بلوحات أدائية نابضة استلهمت الدبكة والإيقاعات الشعبية، وربطت عبر الحركة والإيقاع الأغنيات ببيئاتها التراثية.

حظي حفلُ عودة الفنانة أصالة نصري إلى دمشق برعاية رسمية واهتمام بالغ من وزارة الثقافة، في خطوة تعكس إستراتيجية الوزارة في احتضان القامات الإبداعية السورية وتنشيط المشهد الثقافي والفني.

تُوجت الأمسية التي أقيمت في صالة الفيحاء بتكريم رسمي من وزير الثقافة محمد ياسين الصالح، الذي رحب بالفنانة على خشبة المسرح مقدماً لها درعاً تكريمية، معبّراً في كلمته عن القيمة الوجدانية والوطنية لهذه العودة.

وتميّز الحدث بحضور رسمي رفيع المستوى ضم عدداً من الوزراء والشخصيات السياسية والدبلوماسية ونخباً من الفنانين السوريين إلى جانب جمهور غفير غصت به المدرجات، وعلى مدار 4 ساعات، اصطحبت أصالة جمهورها في رحلة





وزارة الثقافة ومرسم فاتح المدرّس حين تلتقي الذاكرة مع بناء المستقبل

في ساحة النجمة، في قلب حي الشعلان بدمشق، لم يكن مساء العشرين من أيلول موعداً لافتتاح معرضٍ فنيٍّ فحسب، بل كان موعداً لاستعادة مكان ارتبط بواحد من أهم فصول الفن التشكيلي السوري الحديث. في ذلك المساء، افتتح وزير الثقافة محمد ياسين الصالح مرسم الفنان التشكيلي الراحل فاتح المدرّس بعد إنجاز أعمال ترميمه وإعادة تأهيله، بالتزامن مع افتتاح معرض الفنان خالد العطار «أحد عشر عاماً». وهكذا جاء افتتاح المكان ومعرضه الأول بعد الترميم في لحظة واحدة، ليضع الماضي والحاضر داخل فضاء واحد.. مرسم حمل ذات يوم تجربة المدرّس، ويستقبل اليوم أعمال فنان ينتمي إلى زمن آخر وأُسئلة أخرى. ولعل في هذا التزامن ما يتجاوز فكرة البرنامج الافتتاحي؛ فالمكان الذي يستعيد ذاكرته لا يعود إلى الحياة من خلال النظر إلى ما كان فيه فحسب، وإنما من خلال استعادة قدرته على استقبال الفن وصناعته وعرضه.

المدرّس ضمن رؤية أوسع للحياة التشكيلية السورية، معتبراً أنها «شريان حيوي من روافد الوعي المجتمعي الرفيع وتأكيداً لحضور سوريا في العالم».

ويرى الوزير أن العناية بالحركة التشكيلية «لا تنفصل عن إعادة الاعتبار إلى المفاصل الثقافية التي أسهمت في تشكيل الوعي السوري»، مؤكداً أنّ المرحلة الحالية، بما تحمله من إعادة إعمار ثقافي، تستدعي رعاية ذكرى الفنانين الرواد والحفاظ على أثرهم وإبقائه متاحاً للأجيال الجديدة. ومن هذا المنطلق، وصف الوزير مرسم فاتح المدرّس بأنه «معلم من معالم الذاكرة»، مشدداً على أن رعاية تجارب الفنانين الرواد وعدم تركها عرضة للنسيان تمثل جزءاً من دور وزارة الثقافة، ومشيراً إلى أن إعادة تأهيل المرسم تمثل خطوة أولى ضمن إستراتيجية لدعم الحركة التشكيلية بمختلف مدارسها واتجاهاتها. وتكتسب هذه الكلمات أهميتها من طبيعة المكان نفسه، فالمتاحف تحفظ الأعمال، والأرشيف يحفظ الوثائق، لكن المرسم يحفظ شيئاً مختلفاً؛ السياق الذي وُلدت فيه التجربة الفنية.

المكان حاملاً لآثار صاحبه، وفي الوقت نفسه مفتوحاً أمام فنانين وتجارب جديدة.

الثقافة بوصفها ذاكرة حية

وضع وزير الثقافة محمد ياسين الصالح إعادة تأهيل مرسم فاتح

إن استعادة
مرسم فنان مثل
فاتح المدرّس
تعني استعادة جزء
من البيئة
التي تشكلت فيها
إحدى التجارب
المؤسسة للفن
السوري الحديث

جاءت إعادة تأهيل المرسم ضمن مشروع «ترميم الذاكرة التشكيلية السورية» الذي تعمل عليه وزارة الثقافة بالتعاون مع مؤسسة دمشق للثقافة والفكر والفنون والتنمية، في إطار توجّه للحفاظ على المراسم والمساحات التي ارتبطت بتجارب الفنانين السوريين، وإعادة تقديمها للأجيال الجديدة بوصفها جزءاً من التاريخ الثقافي والفني للبلاد.

وكان وزير الثقافة قد أصدر في تموز الماضي قراراً بإعادة تأهيل مرسم المدرّس بالتزامن مع ذكرى رحيله، على أن يجري العمل بالتعاون مع مؤسسة دمشق، وإشراف الفنان التشكيلي خالد العطار.

وامتدت أعمال التأهيل نحو شهرين، وشملت صيانة المرسم ومقتنياته والحفاظ على تفاصيله، ومعالجة الجدران وحمايتها من الرطوبة، إلى جانب تجهيز المكان بالطاقة والإضاءة بما يتناسب مع إقامة المعارض وورشات العمل والفعاليات الفنية.

وبذلك، لم يتجه الترميم إلى فصل المرسم عن تاريخه، بل إلى الحفاظ على ملامحه الأساسية مع منحه وظيفة جديدة ومستدامة، فالغاية أن يبقى





سنوات طويلة من البحث والتجريب. ويظهر في تجربة العطار اهتمام بالعلاقات اللونية والخطوط والرموز، وإعادة صياغة الواقع من خلال لغة بصرية لا تكتفي بنقل الأشياء كما هي، وإنما تبحث عمّا يمكن أن تحمله من دلالات وطبقات إضافية. ومن هنا تُمكن قراءة معرض «أحد عشر عاماً» باعتباره خلاصة مرحلة تحولت فيها التجربة الشخصية إلى مادة فنية، وحيث يصبح الغياب والذاكرة والمكان عناصر تدخل في بناء العمل، لا مجرد موضوعات خارجه.

فاتح المدرّس.. الفنان الذي ترك وراءه مدرسة

وُلد فاتح المدرّس عام 1922، ورحل عام 1999، بعدما ترك حضوراً عميقاً في تاريخ الفن التشكيلي السوري والعربي. درس الفن في روما، ثم في

المدرّس في المشهد السوري، وإلى طبيعة تجربته التي تجاوزت حدود اللوحة نحو الكتابة والفكر والثقافة. وبهذا المعنى، لا يصبح المرسم مجرد عنوان مرتبط بفنان رحل، بل مكاناً يمكن أن يستمر فيه الحوار بين الأجيال، وأن تستعاد من خلاله العلاقة بين الفنان ومحيطه الثقافي.

يوسف عبدلكي.. العطار وتجربة تبحث عن جذورها

ومن زاوية أخرى، تأتي شهادة الفنان التشكيلي يوسف عبدلكي عن تجربة خالد العطار لتضيء جانباً من المسار الفني الذي يقف خلف معرض «أحد عشر عاماً».

ويرتبط العطار بعبدلكي بعلاقة فنية وأكاديمية تعود إلى سنوات دراسته في كلية الفنون الجميلة، وهو ما يمنح شهادته أهمية خاصة في قراءة تجربة فنان تشكّل أدواته خلال

ولهذا فإن استعادة مرسم فنان مثل فاتح المدرّس تعني استعادة جزء من البيئة التي تشكّل فيها إحدى التجارب المؤسسة للفن السوري الحديث. ومن الجهة التي شاركت في تنفيذ المشروع، يتحدث إبراهيم الجبين، رئيس مجلس أمناء مؤسسة دمشق للثقافة والفكر والفنون والتنمية، في الشهادة المنشورة المرافقة للمعرض «عن فكرة إعادة المكان إلى الحياة، لا بوصفه أثراً ثابتاً، وإنما باعتباره فضاء قادراً على إنتاج نشاط ثقافي وفني جديد».

ويشير الجبين إلى أن إعادة تأهيل المرسم تنطلق من الرغبة في تحويله إلى مركز للكّراك الفني والثقافي، وفضاء للورشات التدريبية والنّدوات، بما يفتح المجال أمام الأجيال التشكيلية الجديدة ويربطها بالفنانين الرواد الذين أسسوا للحياة التشكيلية السورية، لافتاً إلى الحضور الذي تركه



خالد العطار.. «أحد عشر عاماً» من الغياب إلى العودة

ولا تبدو تسمية المعرض «أحد عشر عاماً» منفصلة عن سيرة صاحبه: فقد جاءت عودته إلى دمشق بعد سنوات من العمل والغياب والمنفى حاملة معها مجموعة من الأعمال التي رافقته خلال تلك المرحلة. وفي الدعوة إلى معرضه، لخص العطار معنى هذه العودة بالقول: «بعد أحد عشر عاماً من العمل والغياب والمنفى، أعود إلى دمشق لأعرض مجموعة من الأعمال التي رافقت هذه السنوات، في فضاء يحمل اسم الفنان الكبير فاتح المدرّس». وتحمل العبارة دلالة تتجاوز الجانب الشخصي للعودة؛ فالأعمال التي ولدت خلال سنوات الغياب تجد نفسها اليوم في مكان مرتبط بتاريخ فني سوري طويل. أمّا عن الرسم نفسه، فيرى العطار أن المكان كان طوال عقود أكثر من مجرد إستديو للفنان، إذ مثل مساحة للتفاعل والتعلم والاحتكاك بين الفنانين، وأدى دوراً تمكن مقارنته بمدرسة فنية موازية لكلية الفنون الجميلة. ومن هذا المنطلق، ارتبط مشروع إعادة تأهيل المرسوم بالنسبة إليه بفكرة إعادة الحياة إلى مساحة يمكن أن يستفيد منها الفنانون، ولا سيما الأجيال الجديدة. وفي أعماله، يحضر الرمز واللون والتكوين بوصفها أدوات لإعادة بناء الواقع لا لنقله كما هو، وتظهر في مشروعاته عناية بالعلاقات اللونية والخطوط والرموز، إلى جانب بحث متواصل عن لغة بصرية خاصة.



في الجهة الأخرى من الحكاية يقف الفنان خالد العطار، الذي اختار أن يعود إلى دمشق بمعرض يحمل عنوان «أحد عشر عاماً»، وأن يعرض تجربته في المكان الذي حمل اسم فاتح المدرّس. المعرض يضم مجموعة من المشروعات التي اشتغل عليها العطار خلال مسيرته، من بينها مشروع «مزرعة الحيوان» المستند إلى رواية جورج أورويل، ومشروع «نصوص عربية» المستند إلى نصوص وأعمال من الأدب العربي، إضافة إلى مشروعات أخرى وجداريات فنية.

المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة في باريس، وعمل أستاذاً في كلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق، وأسهم في تكوين أجيال من الفنانين السوريين، إلى جانب دوره في تأسيس نقابة الفنون الجميلة.

لكن أهمية المدرّس لا تختصر في المناصب أو المحطات الأكاديمية؛ فقد كان صاحب تجربة بحثت طويلاً عن لغة بصرية خاصة، تداخل فيها التجريد مع الرمز، واستحضرت الإنسان والبيئة الشورية والأسطورة والذاكرة الشعبية. كان في أعماله ميل لتحويل العناصر المألوفة إلى علامات مفتوحة على أكثر من قراءة، فلا تبدو اللوحة مجرد وصف لمشهد، وإنما محاولة للبحث عما يكمن خلف المشهد.

أما المرسوم في ساحة النجمة، فقد ارتبط بتجربته منذ عام 1967، وتحول على مدى عقود إلى مساحة يتقاطع فيها العمل الفني مع التعليم والحوار والتجريب.

وتشير الشهادات المرتبطة بالمكان إلى أنه أدى دوراً يشبه المدرسة الموازية لكلية الفنون الجميلة، وأسهم في احتضان عدد من الفنانين الذين واصلوا حضورهم في الحركة التشكيلية السورية، ولهذا فإن قيمة المرسوم لا تأتي من كونه المكان الذي كان يعمل فيه فاتح المدرّس فحسب، بل من كونه جزءاً من شبكة العلاقات الفنية والفكرية التي أسهمت في تشكيل جيل كامل.





مكان واحد.. زمان

لا تحتاج العلاقة بين فاتح المدرّس وخالد العطار إلى تشابه في الأسلوب حتى تصبح ذات معنى، فالأول ترك وراءه تجربة ارتبطت بتحويلات الفن التشكيلي السوري في القرن العشرين، والثاني يقدم تجربة تشكلت في سنوات أكثر اضطراباً وتحولاً، وبينهما جيل من الفنانين وأسئلة كثيرة تغيرت، لكن المكان بقي قادراً على جمع هذه الطبقات المختلفة. لهذا تبدو إقامة «أحد عشر عاماً» في مرسوم فاتح المدرّس أكثر من

مناسبة فنية متزامنة مع الافتتاح.. إنها اختبار عملي لفكرة الترميم نفسها.. أن تستعيد الذاكرة مكانها دون أن تتحول إلى ماضٍ مغلق.

فالمرسوم بعد الترميم لا يُقدّم باعتباره متحفاً لفاتح المدرّس، وإنما كغالييري وفضاء يمكن أن يستضيف المعارض والورشات والأنشطة الفنية، وفي الوقت نفسه، لا يفقد هويته ولا يمحو آثار صاحبه.

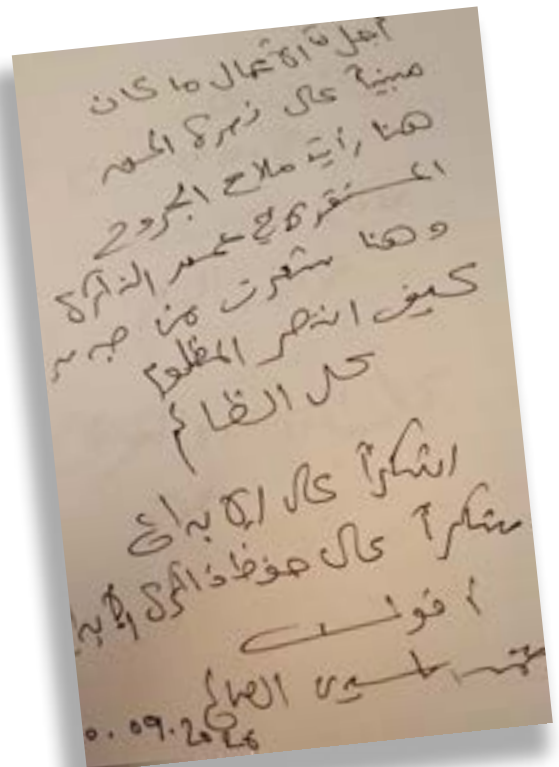
وبين مقتنيات المدرّس وأعمال العطار، يصبح المكان أشبه بصفحة تجمع طبقتين من تاريخ الفن السوري؛ طبقة كتبها يد فنان رحل، وأخرى

يكتبها فنان معاصر ما زال يختبر أدواته وأسئلته، وربما تكون هذه هي القيمة الأهم في استعادة المرسوم، ألا نكتفي بأن نتذكر أن فاتح المدرّس كان هنا، بل أن نمّح المكان فرصة لأن يكون هنا الآن، فالثقافة لا تستعيد ذاكرتها حين تعيد فتح أبواب الأمكنة فحسب، وإنما حين تجعل هذه الأمكنة قادرة على استقبال المستقبل، وفي مرسوم فاتح المدرّس، بدأ هذا المستقبل بمعرض خالد العطار.

تغطية: عمر الجبين

**تبدو إقامة
«أحد عشر عاماً»
في مرسوم فاتح
المدرّس أكثر من
مناسبة فنية متزامنة
مع الافتتاح،
إنها اختبار عملي
لفكرة الترميم
نفسها.. أن تستعيد
الذاكرة مكانها**

كلمة وزير الثقافة
في سجل الشرف
بمعرض الفنان
خالد العطار
خلال افتتاحه
مرسم فاتح المدرس





دمشق تحتضن المعرض السنوي للفنون البصرية

في الحركة التشكيلية والبصرية. ورصد المعرض تحولات هذه التجربة وتنوعها عبر الأجيال، وما راكمته من أساليب وموضوعات ورؤى، فيما فتح مساحة تجاوزت فيها خبرات رواد الفن التشكيلي مع تجارب الفنانين الشباب. وحملت الأعمال المشاركة طبقات من ذاكرة المكان والإنسان، وما أضافته سنوات الثورة من أسئلة الفقد والغياب والمنفى والهوية. وظهر أثر هذه التحولات في تنوع اللغات الفنية بين التجريد والتجريب والوسائط المعاصرة، بما كشف عن تجربة بصرية ظلت تتطور وتعيد صياغة أسئلتها وأدواتها.

من الرسم والنحت إلى الخزف والخط والتصوير والفنون الرقمية، اجتمعت تجارب فنية سورية متعددة في المعرض السنوي السوري للفنون البصرية «للفن أثر 2026»، الذي افتتحته وزارة الثقافة بالتعاون مع جامعة دمشق في المركز الوطني للفنون البصرية، في أول دورة له بعد التحرير. وشهد الافتتاح حضوراً رسمياً وثقافياً لافتاً، وشارك في المعرض 197 فناناً وفنانة من أجيال ومدارس فنية مختلفة، قدموا أكثر من 200 عمل تنوعت بين اللوحات الزيتية، والمجسمات النحتية والخزفية، والأعمال الحروفية، والتصوير الفوتوغرافي والوسائط الجديدة، في مشهد جمع مسارات مختلفة من التجربة البصرية السورية، وعكس حيوية متجددة



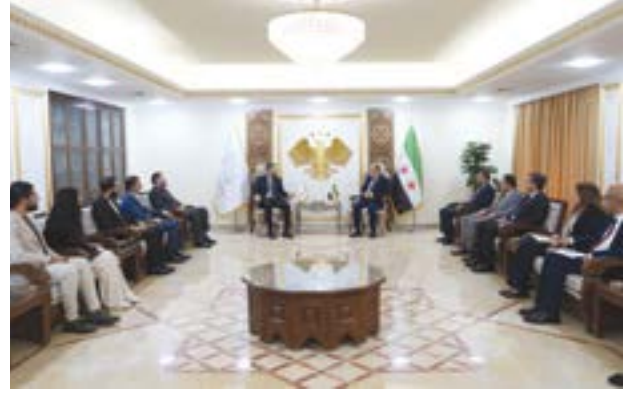
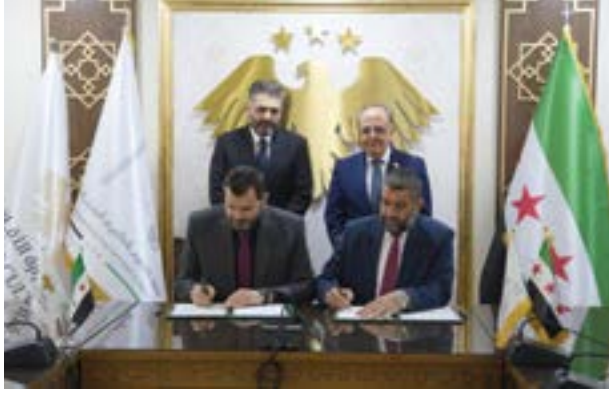


دمشق تحتضن فعاليات النسخة الأولى من «أسبوع الفن في سوريا»

شهد مبنى «وردة مسار» في حاضرة الياسمين دمشق افتتاح النسخة الأولى من فعاليات «أسبوع الفن في سوريا». وحضر الحفل وزير الثقافة محمد ياسين الصالح ووزير الاتصالات وتقانة المعلومات عبد السلام هيكل، إلى جانب لفييف من السفراء وأعضاء في السلك الدبلوماسي وشخصيات فنية وثقافية وجمهور من المهتمين بالفنون. وعلى مدى أيامه السبعة، قدم الأسبوع تجربة فنية تنوعت بين الفنون التشكيلية والتصوير الفوتوغرافي والعروض السينمائية والأمسيات الموسيقية، إلى جانب جلسات حوارية ونقدية، جمعت تجارب ومدارس فنية متعددة في مساحة واحدة. وجاءت الفعالية في سياق توجه وزارة الثقافة إلى توسيع الشراكة مع القطاع الثقافي المستقل، ودعم مسارات جديدة للنهوض بالفنون البصرية وتوسيع حضورها. وفي هذا السياق، تعمل الوزارة على التحضير لإطلاق النسخة الأولى من «بينالي سوريا»، في مشروع يهدف إلى ربط الكراك الفني داخل البلاد بالمنصات والتجارب الفنية العالمية.



اتفاقية لتعزيز التكامل الأكاديمي وحماية التراث بين وزارتي الثقافة والتعليم العالي



وربط الجامعات بالمؤسسات الثقافية. كما تنص الاتفاقية على دراسة إحداث اختصاصات جامعية جديدة تنسجم مع متطلبات العمل الثقافي وتطوره، ودعم المواهب والنخب الطلابية، وتعزيز مشاركة الشباب الجامعي في الحياة الثقافية، إلى جانب توسيع التعاون بين الجامعات والجهات البحثية من جهة، والمديريات والمكتبات والمعاهد والمؤسسات التابعة لوزارة الثقافة من جهة أخرى.

الخالد، بحضور وزير الثقافة محمد ياسين الصالح ووزير التعليم العالي والبحث العلمي مروان الحلبي، وذلك في مبنى وزارة التعليم العالي بدمشق. وتشمل الاتفاقية توسيع التعاون في البحث والتدريب والتوثيق وحماية التراث الثقافي المادي واللامادي، والاستفادة من خبرات كليات الآثار والتاريخ وهندسة العمارة والاختصاصات ذات الصلة، إلى جانب تطوير مشروعات المعرفة الرقمية

وقّعت وزارتا الثقافة والتعليم العالي والبحث العلمي اتفاقية تعاون لتعزيز الشراكة بين المؤسسات الثقافية والأكاديمية، وربط البحث العلمي بالمجالات الثقافية والتراثية والفنية والمعرفية، والاستفادة من الخبرات الجامعية في تطوير عمل المؤسسات الثقافية. ووقع الاتفاقية نائب وزير الثقافة سعد نعسان، ومعاون وزير التعليم العالي والبحث العلمي لشؤون الطلاب عبد الحميد

إعادة افتتاح «مسرح الحمراء» العريق في دمشق



بعد نحو 9 أشهر من الترميم والتأهيل، أعادت وزارة الثقافة افتتاح مسرح الحمراء في دمشق، ليعود إلى استقبال جمهوره بعد سنواتٍ من التوقف. وشهد الافتتاح حضوراً رسمياً وفنياً، تقدّمه وزير الثقافة محمد ياسين الصالح، إلى جانب عدد من نجوم الدراما والمسرح السوريين، في أمسية أعادت إلى المكان جانباً من ذاكرته المرتبطة بعروض وتجارب مثّلت جزءاً من تاريخ المسرح السوري. وشملت أعمال التأهيل تحديث الخشبة وأنظمة الصوت والإضاءة وتجهيزات المسرح، مع الحفاظ على ملامحه المعمارية والجمالية، بما يمهد لاستعادة دوره في استضافة العروض والفعاليات الفنية.



بقیمة تتجاوز 5 ملايين دولار.. سوريا تستعيد 36 قطعة أثرية من أمريكا

4 آلاف عام، ومن أبرزها منحوتة جنائزية تدمرية من الحجر الجيري تزن أكثر من 450 كيلوغراماً، وتعود إلى أواخر القرن الثاني الميلادي، وتصور رجلاً في وضعية الاستلقاء تحيط به امرأة وثلاثة أطفال.

كما تضم المجموعة 14 لوحة فسيفسائية نُهبت من فيلا رومانية في سوريا، بينها جزء من أرضية فسيفسائية تُعرف باسم «تيليتي وإيروس»، إضافة إلى 3 تماثيل نسائية سورية-حيثية صُنعت في شمال غرب سوريا وتعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد. وتأتي هذه العملية بعد نحو شهرين من استعادة سوريا 23 قطعة أثرية من فرنسا، ضمن جهود دبلوماسية، وفي مقدمتها الدبلوماسية الثقافية، لاستعادة الآثار السورية المهربة والمنهوبة وإعادتها إلى البلاد.

استعادت سوريا 36 قطعة أثرية من السلطات الأمريكية خلال مراسم أُقيمت في نيويورك في 23 أيلول 2026، وتُقدّر قيمة القطع المستردة بأكثر من 5 ملايين دولار. وجاءت عملية الاسترداد بعد تحقيقات أجرتها وحدة مكافحة الاتجار بالآثار التابعة لمكتب المدعي العام في مانهاتن، في إطار تعقب القطع السورية التي خرجت من البلاد بطرق غير شرعية خلال السنوات الماضية. وشارك في مراسم التسليم القائم بالأعمال في السفارة السورية بواشنطن محمد ناصر القنطاري، والمدّعي العام لمنطقة مانهاتن ألفين براغ، إلى جانب مسؤولين ودبلوماسيين من الجانبين. وتعود القطع المستردة إلى مراحل تاريخية تمتد نحو





إقبال لافت في الدورة الرابعة لمعرض الكتاب بإدلب

وحسب، بل تحول إلى تظاهرة فكرية شاملة من خلال برنامج ثقافي مواز حافل بالأنشطة. وتضمن أيضاً برامجً وندواتٍ فكريةً وحوارية تناولت واقع الثقافة والهوية العربية، وحفلات توقيع إصدارات جديدة لنخبة من الأدباء والكتاب السوريين، وأمسياتٍ شعريةً وموسيقية أحييت التراث والذاكرة السورية الأصيلة. ومع ختامه عكست أرقام الحضور والمبيعات نجاحاً للمعرض وشغف المجتمع المحلي بالمعرفة وفق القائمين عليه، حيث زاره أكثر من 25 ألف زائر على مدار أيام المعرض، وتجاوزت مبيعات الكتب حاجز الـ 17 ألف كتاب.

برعاية وزارة الثقافة، أقيم معرضُ إدلب الرابع للكتاب، الذي استضافه المركز الثقافي في المدينة بمشاركة واسعة من دُور النشر المحلية والعربية. وتميزت نسخة هذا العام بنوعيتها وحجم المشاركة؛ حيث شهد المعرض مشاركة نحو 100 دار نشر ومكتبة جاءت من سوريا، ولبنان، والإمارات، وتركيا. وضمت أجنحة المعرض ما يزيد على 100 ألف عنوان غطت مختلف صنوف الأدب، والفكر، والعلوم، والتاريخ، مما أتاح منصة معرفية غنية تلبي تطلعات القراء بمختلف فئاتهم العمرية. ولم يقتصر الحدث على عرض الكتب



سوريا تشارك في الدورة الـ 35 من معرض أبوظبي الدولي للكتاب



شاركت سوريا في الدورة الخامسة والثلاثين من معرض أبوظبي الدولي للكتاب بوفد ترأسه نائب وزير الثقافة سعد نعيان، في حضور أعاد الثقافة السوريّة إلى واحدة من أبرز منصات الكتاب والنشر في المنطقة، وفتح مساحة للتواصل مع ناشرين وكتاب ومؤسّسات ثقافيّة عربيّة ودوليّة.

وحضر الوفد السوري حفل انطلاق الدورة الخامسة والثلاثين في مركز أدنيك أبوظبي، التي افتتحها نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الإماراتي الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان، وأقيمت تحت شعار «لنقلب الصفحة ونقرأ العالم»، بحضور عدد من الوفود والشخصيات الثقافية والدبلوماسية. وجمعت الدورة أكثر من 1200 عارض من 95 دولة، إلى جانب

الثقافة السورية على منصات النشر والحوار العربي والدولي، بما يفتح فرصاً أوسع للتواصل والتبادل بين الكتاب والمبدعين والمؤسّسات الثقافية.

نحو 1500 فعالية ثقافية ومعرفية وفنية وتعليمية، ضمن برنامج جمع بين الكتاب والنشر والحوار الثقافي وتبادل الخبرات. وعكس الحضور السوري في أبوظبي اتساع حضور

سوريا ضيف شرف «اليوبيل الفضي» لمعرض عمان الدولي للكتاب



في عام احتفى فيه معرض عمّان الدولي للكتاب بيوبيله الفضي، حلّت سوريا ضيف شرف على دورته الخامسة والعشرين، بحضور ثقافي امتدّ من الكتاب والنشر إلى الفنون والتراث والحرف التقليدية.

وشارك وزير الثقافة محمد ياسين الصالح في حفل افتتاح المعرض بالمركز الثقافي الملكي في عمّان، الذي رعاه وزير الثقافة الأردني مصطفى الرواشدة مندوباً عن جلالة الملك الأردني عبد الله الثاني، بحضور رسمي وثقافي ودبلوماسي، وأقيمت الدورة تحت شعار «الأردن.. الأرض والإنسان».

وجاء الحضور السوري تحت شعار «سوريا والأردن.. نبض ثقافي واحد وتاريخ يصنعه الأشقاء»، حيث قدم

الحضور السوري برنامج ثقافي ضم ندوات وأمسيات وحوارات وعروضاً من التراث الثقافي اللامادي.

وجاء الحضور السوري في عمّان ضمن مسار يعيد الثقافة السورية إلى فضائها العربي، ويفتح أمام كتابها ومبدعيها ومؤسّساتها الثقافية دوائر أوسع للتواصل والتبادل والشراكة.

الجنّاح صورة عن الثقافة السورية، تمثّلت في تنوع الإصدارات الأدبية والفكرية بالتراث المادّي واللامادّي والفنون والحرف والعادات والتقاليد، في مساحة عكست تنوع التجربة الثقافية السورية وامتدادها التاريخي. كما شاركت 26 دار نشر سورية بإصدارات أدبية وفكرية ونقدية، ورافق

المعاني التي تحكمنا

تؤدي اللغة دوراً مهماً في تشكيل تصوراتنا عن أنفسنا والعالم، غير أن الكلمات لا تحمل معانيها بعيداً عن الثقافة التي نعيش فيها؛ فنحن نتعلم من خلالها كيف نسقي الأشياء، وكيف نصف ما يحدث، وما المعايير التي نستخدمها في فهمه والحكم عليه. حين نتحدث عن «النجاح» مثلاً، فنحن لا نستعمل كلمة محايدة، بل نستدعي معها تصوراً عمّا يعنيه أن ينجح الإنسان أو يفشل، ولهذا فثمة فرق بين أن نقول: «أخفق في هذه المحاولة»، وأن نقول: «هو فاشل»، فالأولى تصف نتيجة محددة، أما الثانية فتنقل الحكم من الفعل إلى الإنسان، وبين الوصفين تكمن منظومة من المعايير والتصورات التي تعلمنا من خلالها كيف ننظر إلى النجاح والإخفاق.

وهذا لا يخص كلمة بعينها، فكثير من الكلمات التي نستخدمها في وصف الناس والجماعات والتجارب تحمل داخلها تاريخاً من الأحكام والتصورات، وقد نكرّرها زمناً طويلاً حتى تبدو معانيها بديهية، مع أنها نتاج سياقات اجتماعية وثقافية محددة، وتمكنُ مراجعتها مثلما نراجع أي فكرة.

وفي سوريا، تبدو هذه المراجعة أكثر إلحاحاً، فما عاشه السوريون، واختلاف تجاربهم وبيئاتهم، يضعنا أمام حاجة إلى أن نسأل عن الكلمات التي نصف بها بعضنا، وعن الأحكام التي تحملها، وعن المسافة بين الإنسان كما هو والصورة التي كوّنّاها عنه. وحين نفحص اللغة في ضوء تجارب الناس وظروفهم، فنحن لا نغيّر الكلمات، بل نراجع الطرائق التي تعلّمنا أن نفهم بها الآخرين. ولعل هذا أحد أدوار الثقافة: أن تجعل ما اعتدنا اعتباره مسلماً قابلاً للسؤال، وكما حرّنا الأرض، نحتاج أيضاً إلى تحرير لغتنا ومفاهيمنا من التعميمات والأحكام المسبقة التي تحجب اختلاف الناس وتجاربهم، لا بأن نتخلى عن المعاني التي ورثناها، بل بأن نعيد النظر فيها في ضوء ما عشناه وما تعلّمناه، فمراجعة اللغة، في النهاية، هي مراجعة لشيء أعمق هي مراجعة لمنطق التفكير نفسه الذي حكم نظرنا إلى أنفسنا وإلى بعضنا.



هريم حجير
مديرة التحرير